حوار مع الطفل

جميع الحقوق
محفوظة ومسجلة

الطّبعة الأولى
١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

www.alhatali.com

رؤى

اطلبه من:
مكتبة السيدة فاطمة الزهراء
هاتف: 92908620
92988061
25434506

تنفيذ طباعي
دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠٣/٤١٣٢٥٦ - بيروت لبنان
dar.alkari2012@gmail.com

سلسلة حوارات هادفة (٣)

حوار مع الطفل

د. صالح بن مطر الهطالي

رؤى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحوار الأول: التربية الإيمانية للطفل

تعوَّدتُ الجلوس مع زوجي وأولادي في درس أسبوعي، نتذاكر فيه بعض أمور الدين، ونناقش القضايا التي تتعلَّق بالأسرة، وتعوَّدنا إقامة الدرس في مكتبة البيت ليستشعر الأولاد أهمية المكتبة، والدور الذي تؤديه في حياتهم، وقد خصَّصتُ درس هذا الأسبوع للحديث عن التربية الإيمانية للطفل.

في بداية الدرس، كنتُ أطلب من أحد الأولاد أن يقرأ بعض الآيات التي أكون قد انتقيتُها لتتوافق مع الموضوع الذي نريد الحديث عنه،

وبعد ذلك أطلب من طفل آخر أن يقرأ حديثًا نبويًّا له ارتباط بموضوع الدرس.

بدأ ولدي أحمد بتلاوة الآيات ٢٣ إلى ٢٧ من سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

لما انتهى أحمد من تلاوة الآيات، طلبتُ من هاجر، التي تدرس في الصف الثالث، أن تقرأ

حديث هذا الأسبوع، فقرأتْ: قال النبي ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1].

بعد ذلك، قلتُ للجميع:

- مَن منكم يُلخِّص لنا ما فهمه من هذه الآيات؟

رفع محمد، الذي يدرس في الصف السابع، يده، ثم قال:

- يُشير- سبحانه وتعالى- في هذه الآيات إلى أن على كل إنسان أن يُفرِده بالعبادة، وأن يُحسِن إلى والديه وخاصة عندما يكبران في السِّن، وأن يصل أرحامه، ويعطف على الفقراء

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ١٥)، ومسلم (حديث رقم: ٧٠).

والمساكين، وأن لا يُبَذِّر أمواله لأن التبذير من أعمال الشياطين.

إفراد العبودية لله وحده

شكرتُ محمدًا، ثم قلتُ:

- يا أحبابي، كما ترَوْن فإن اللَّه قد أمرنا في بداية هذه الآيات بإفراده بالعبادة، وأن لا نشرك معه أحدًا أو شيئًا من خلقه، وأنتم تعلمون أن الإنسان يكون دائمًا بحاجة إلى مَن يعتمد عليه ويتوكل عليه، وبحاجة إلى قوة عظمى عادلة تكفل له العيش الكريم، والأمن والاطمئنان، قوة تعطيه ما يسأل، وتمنع عنه ما يخاف، وتفصل بينه وبين غيره بالحق، قوة تُحقِّق له أمانيه، وتحفظ روحه وجسده من الهلاك، هذه القوة العظمى هي اللَّه- سبحانه وتعالى-.

هذا يعني أن لا نعبد أيَّ شيء سوى اللَّه؛ فلا نعبد الشمس ولا القمر ولا النجوم، ولا أيَّ شيء آخر في هذا الكون، وإنما نعبد اللَّه خالق هذا الكون ومدبِّر أموره، وخالق الحياة والممات، وخالق الإنس والجن، وخالق السماوات والأرض، وخالق الماء والزرع، وخالق العقل والدم واللحم، ومُسيِّر السحاب، وناصر المظلوم، وكاشف الكرب، ودافع الهَمِّ والغَمِّ.

محبة الله هي أساس الإيمان

واصلتُ حديثي قائلاً:

كذلك، إن علينا أن نُحبَّ اللَّه أكثر من حبِّنا لأيِّ شيءٍ آخر، كما جاء في الحديث الذي قرأته علينا هاجر، وأن يكون اللَّه أغلى في نفوسنا من

أيِّ شيءٍ في هذه الحياة؛ فهو أغلى من الطعام والشراب والمال والأولاد والزوجة والوظيفة والسيارة، وكل شيءٍ آخر نمتلكه أو لا نمتلكه.

وعلينا أن نطيع كل أوامره، وأن نبتعد عن كل ما أمرنا باجتنابه، وعلينا أن نتوكل عليه في كل أمورنا، وأن لا نخاف أحدًا سواه، ولا نسأل أحدًا غيره. كذلك، على الإنسان أن يُطهِّر قلبه من جميع الأمراض القلبية، كالنفاق والرياء والكِبْر.

قالت زوجي:

- وأضيف إلى ما قاله أبوكم حديثًا مرويًّا عن رسول اللَّه ﷺ يوضح لنا الكثير من الأعمال التي تُعمِّق في نفوسنا محبة اللَّه، فقد ذكر عبداللَّه بن عمر- رضي اللَّه عنهما- «**أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ**

أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ»(١).

(١) رواه الطبراني في الكبير (حديث رقم: ١٣٦٤٦).

سألت ابنتي هاجر قائلة:

- كيف يكون الحب للَّه؟

فقلتُ لها:

- أحسنتِ يا ابنتي، أنتم تعلمون يا أبنائي أن الإنسان، وحتى الحيوان، يحب مَن يُحسن إليه، ويكره مَن يُسئ إليه، وتعلمون كذلك أَن الأطفال يحبون أبويهم لأن الأبوين يحافظان على أولادهم، ويوفران لهم كل ما يحتاجونه من أكل وشراب ولباس، ولأن اللَّه- سبحانه وتعالى- قد أعطانا الحياة وهيأ لنا كل ما نحتاج إليه، وسخَّر لنا كل ما في هذا الكون، فلذلك وجب علينا أن نحبه ونطيع أوامره. ولا تنسَوْا بأن اللَّه قد أكرمنا بأعظم نعمة، وهي نعمة الإسلام، وجعل لنا في هذا الدين من السماحة والسهولة والتيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم الناس ويواكب حاجاتهم.

وتعرفون كذلك- يا أبنائي- أن رعاية الأبوين لا تدوم؛ فقد يمرض أحدهما أو يسافر أو ربما يموت، وأما اللَّه- سبحانه وتعالى- فإنه الحيُّ القيوم الدائم الباقي الذي لا يموت، والذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، فهو معنا أينما كنا، وهو الذي يحفظنا ويرعانا أكثر من آبائنا وأمهاتنا، ولذلك علينا أن نحبَّه أكثر من حبِّنا لوالدينا وأولادنا وغيرهم من الناس.

رفع محمد يده، فقال:

- وكيف نعرف مَن يُحبُّ اللَّه ومَن لا يُحبُّه؟

أجبتُه قائلًا:

- أحسنتَ يا محمد على هذا السؤال. إن محبة اللَّه تظهر في أفعال الإنسان وأقواله وأخلاقه؛ فعندما نرى شخصًا يؤدي ما أمرنا اللَّه به من عبادات، ويؤديها على أكمل وجه وأفضل

هيئة، فإنا نعلم أن هذا الشخص يحب اللَّه، وأما لو شاهدناه يُفرِّط في العبادات ويتهاون فيها، وهو في الوقت نفسه سيِّء الخلق، فنعلم أنه لا يحب اللَّه.

وتعلمون- كذلك- بأن اللَّه يأمرنا في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ بمساعدة الناس، والتخفيف عنهم، وإدخال السرور إلى قلوبهم، ومساعدة فقيرهم، وإعانة ضعيفهم، وإغاثة ملهوفهم، وعيادة مريضهم، وكفالة يتيمهم، وتعليم جاهلهم، وتوقير كبيرهم، والعطف على صغيرهم، والعفو عن مُسيئهم. لذلك، مَن نراه يقوم بهذه الأمور فإننا نعلم أنه يحب اللَّه.

علَّقت زوجي قائلة:

- إن محبة اللَّه- عزَّ وجلَّ- أساس المحبة لكل ما جاءنا عنه - سبحانه وتعالى-؛ فعندما

نُحبُّ اللَّه فإننا سنُحبُّ القرآن الكريم لأنه كلام اللَّه، وسنُحبُّ تأدية الصلاة لأنها مناجاة للَّه، وسنُحبُّ التصدُّق إلى الفقراء لأنها قربة إلى اللَّه، وهكذا مع بقية ما جاءنا من عند اللَّه.

وتعلمون- يا أحبابي- بأن اللَّه يحب التوابين، والمتطهرين، والمحسنين، والمتصدقين، والصابرين، والمقسطين، والمتوكلين، وتعلمون أن اللَّه مع الصابرين، وأنه- سبحانه- وليُّ المؤمنين، وأنه يدافع عنهم، ولذلك فعلى كل واحدٍ منا أن يجتهد ليتَّصِف بهذه الصفات، ابتغاء الحصول على مرضاته- سبحانه- وحبه وولايته لنا ودفاعه عنا.

وبالمقابل، فعندما نعلم أن اللَّه لا يحب الخائنين، ولا الكافرين، ولا المتكبرين، ولا المعتدين، ولا الظالمين، ولا المفسدين، لقوله

سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦)، ولقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٧)، وغيرها من الآيات، فإن علينا أن نبتعد عن كل هذه الصفات حبًّا في اللَّه، ورغبة في إرضائه.

ابتسمتُ، وقلتُ لزوجي:

- ما شاء اللَّه هذا تحليلٌ جميل، وأحبُّ أن أضيف إلى ما قلتِه يا أمَّ أحمد شيئًا آخر؛ وهو أن حب اللَّه سيجعل المسلم يستشعر أنه- عزَّ وجلَّ- يرعاه ويحفظه في كل وقت ومكان، وهذا سيترتب عليه الشعور بالراحة والاطمئنان والثبات وعدم القلق أو الخوف أو الحزن، وكذلك سيمنحه سلامة النفس والجسد من الأمـراض، والأهم من كل ذلك السلامة من المعاصي والآثام.

وما إن فرغتُ من حديثي حتى سأل أحمد:

- وما هي الأعمال التي تساعدنا على تقوية حبِّنا للَّه- سبحانه وتعالى-؟

قالت زوجي:

- إن من أهم الأعمال التي تقوي صلتنا به سبحانه، وتغرس في نفوسنا محبته الإكثار من ذكر اللَّه؛ فاللَّه أخبرنا في كتابه بأن من صفات أصحاب القلوب الحيَّة والعقول المستنيرة أنهم يذكرون اللَّه في جميع أحوالهم، حيث يقول- سبحانه- في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ◉ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠- ١٩١)، والأذكار- كما تعلمون يا أبنائي- عباراتٌ

بسيطة من السهل على الصغير والكبير أن يحفظها وينطق بها، ومع ذلك فإن اللَّه يعطينا عنها الأجر العظيم.

كما أن علينا أن نتفكَّر في مخلوقاته التي تدل على عظمته وقدرته سبحانه، كما طلب منا ذلك في الآيات التي تلوتُها عليكم قبل قليل؛ فهذه السماء وما فيها من كواكب ونجوم وأفلاك ومجرات، وهذه الأرض وما عليها من كائنات ونباتات وما فيها من كنوز، وهذه البحار وما فيها من عجائب وغرائب كلها من آيات اللَّه المبهرة.

محبة الرسول- عليه أفضل الصلاة والسلام- من أهم علامات المحبة لله

قلتُ:

- وعلينا أن لا ننسى يا أبنائي أن من مظاهر محبتنا للَّه- عزَّ وجلَّ- أن نتَّبع رسولهﷺ، كما

قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ٣١). ونبينا محمد ﷺ كان السبب في هداية هذه الأمة وإخراجها من الكفر إلى الإيمان، ونجاتها من العذاب في النار إلى النعيم في الجنة.

ومحمد ﷺ أفضل خلق اللَّه جميعًا، بل إنه أفضل الأنبياء والرسل، وله- عليه الصلاة والسلام- مكانة عظيمة عند اللَّه في الدنيا والآخرة، وقد زكَّاه- سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم، فقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، فهو أكمل الناس خُلُقًا، وأشرفهم نسبًا، وأعلاهم مقامًا عند اللَّه، ولذلك تميل نفوس المؤمنين إلى جعله- عليه الصلاة والسلام- القدوة في كل شيء.

فقالت ابنتي هاجر:

- وما معنى أن نجعله قدوة؟

ردَّت عليها زوجي:

- تعرفون يا أبنائي أن جميع الناس- الصغار والكبار- يحبُّون تقليد المشاهير والعظماء، وبالنسبة لنا نحن المسلمين فإن أفضل شخصٍ علينا أن نقلِّده هو النبي محمد ﷺ كما قال لنا- عزَّ وجَلَّ- في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، ولا يمكننا الاقتداء به- عليه الصلاة والسلام- إلا إن تعرَّفنا على شخصيته وتفاصيل حياته، وذلك من خلال ما وصفه اللَّه به- سبحانه- في القرآن الكريم، وأيضًا من خلال دراسة سيرته ﷺ.

فقلتُ لزوجي:

- بوركتِ يا أم أحمد فيما قلتِه، وعلينا أن ندرك يا أبنائي أن من علامات صدق إيماننا أن نجعل رسول اللَّه ﷺ أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأولادنا، كما جاء في الحديث الشريف الذي قرأته علينا هاجر في بداية هذا الدرس؛ فقد روى الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب- رضي اللَّه عنه- أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1].

كذلك، إن من علامات محبتنا له أن نكثر من الصلاة عليه، وأن نتَّبع كل ما جاء به من عند ربه، وأن نستمسك بسنته، وأن لا نتوانى في الدفاع عنه ونصرته ونصرة سنته عندما نسمع أو

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ١٥)، ومسلم (حديث رقم: ٧٠).

نرى شخصًا ينتقص منه- عليه الصلاة والسلام- أو من سنته.

ومن علامات محبتنا له ﷺ أن نشتاق إلى لقياه يوم القيامة ومرافقته في الجنة؛ فإنه- عليه أفضل الصلاة والسلام- يقول: «**المرءُ مع مَن أحبَّ**»[1]، وأيُّ شيءٍ أفضل وأكرم لنفوسنا من أن نحشر معه- عليه الصلاة والسلام-؟ ولا ننسى يا أحبتي بأن الرسول ﷺ هو صاحب الحوض المورود، وأنه سيسقي يوم القيامة مَن أحبَّه وسار على طريقته شربةً هنيئةً من هذا الحوض.

فقال أحمد:

- لقد سمعتُ أن كثيرًا من الكفار صاروا في هذه الأيام يسبُّون الرسول ﷺ ويسخرون منه.

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهم من أصحاب السنن.

قلتُ:

- نعم يا ولدي، إن أعداء الإسلام حاقدون على هذا الدين، ويحاولون أن يُظهروا معايبه للناس- كما يتوهَّمون- مخافة أن يدخل الناس فيه، وإن من الوسائل التي يستخدمونها لتشويهه الانتقاصَ من الرسول- عليه الصلاة والسلام-؛ فتراهم يسبُّونه علنًا في الصحف والتلفاز ومواقع الإنترنت، وكذلك يسبُّون أزواجه وصحابته.

زادت زوجي على ما قلتُه:

- يا أبنائي، إذا كان الواحد منا لا يرضى أن يشتمه أحدٌ أو يسخر منه، فكيف يمكننا أن نسكت إذا قام شخصٌ بسبِّ الرسول ﷺ؟ وكيف ندَّعي أننا نحبه عليه- أفضل الصلاة والسلام- ونحن لا نغار عليه ولا على أزواجه وصحابته.

فقال محمد:

- وكيف يكون دفاعنا عنه- عليه الصلاة والسلام-؟

قلتُ له:

- يا ابني: يكون ذلك بوسائل عديدة، منها: عرض سيرته- عليه الصلاة والسلام- مترجمة للعالم ليعرفوا حقيقة هذا الرسول العظيم ﷺ من خلال أصحابها، أي نحن المسلمون، وبذلك يتبيَّن لهم كذب المفترين وادِّعاءاتهم. كذلك، لا بُدَّ أن يكون المسلمون قدوة للعالم في حُسْن أخلاقهم وطيب معاملتهم لغيرهم؛ فتصرُّفات المسلمين المشينة تؤكِّد للآخرين ما يُنسَب إلى الإسلام من دعاوى باطلة، وما يُنسَب إلى الرسول من افتراءات وأكاذيب.

بر الوالدين من دلائل المحبة لله

أضافت زوجي قائلة:

- ومن الأدلة على محبة الإنسان لربه طاعة أوامـره، ومنها الإحسان للوالدين، والعطف عليهما، واحترامها، وخاصة عندما يكبران. وأنتم تلاحظون في الآيات التي قرأها علينا أحمد في بداية هذه الجلسة أن اللَّه قد قرَن بين إخلاص العبادة له- سبحانه- والإحسان إلى الوالدين، فاللَّه- عزَّ مِن قائل- يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤). ويقول في سورة النساء: ﴿وَاعْبُدُوا

اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (النساء: ٣٦)، وهنا نرى أن اللَّه قرَن بين إفراده- سبحانه- بالعبودية والإحسان للوالدين، وهذا يدلُّ على أهمية هذا الأمر، وخطر مَن يُفرِّط فيه.

قالت ابنتي هاجر:

- وكيف يكون الإنسان بارًّا بوالديه؟

قالت زوجي:

- أحسنتِ يا حبيبتي، فبرُّ الوالدين من الأمور المهمة التي يجب أنْ يَعْلَمها جميع الناس، وخاصة الصغار منهم لكي يتربَّوْا عليها، وأول شيء علينا القيام به في حق والدينا- بل قد يكون أهم شيء- أن نطيعهما فيما لا معصية فيه للَّه ورسوله؛ فإذا أمرانا بشيء فعلينا امتثال

أوامرهما وتلبية رغباتهما، وعلينا أن لا نتضجَّر من كثرة طلباتهما.

قاطع أحمد أمه قائلًا:

- وماذا إن كنتُ لا أستطيع القيام بما يأمرانَني به؟

فردَّت زوجي عليه قائلة:

- أحسنتَ يا ولدي؛ فاللَّه لا يكلِّف نفسًا فوق طاقتها وقدرتها، ولكن علينا أن نعتذر لهما بالحسنى وبأسلوب مؤدب. كذلك، من وجوه احترامهما مخاطبتهما بأحسن الألفاظ، وعدم النطق بأية عبارات تؤذيهما أو يكرهان سماعها، وعندما يتحدث أحدهما فمن البِرِّ به أن نصغي السمع له، وأن لا نقاطع حديثه.

رفع أحمد يده مرة أخرى، فقالت له أمه:

- تفضل يا حبيبي.

قال أحمد:

- وهل الانشغال عن الوالدين بالهاتف أو الحاسوب أو غير ذلك يعتبر من عدم البِرِّ بهما؟

ابتسمتْ وقالت:

- ما شاء اللَّه، هذا سؤال مهم جدًّا!! نعم يا ولدي، إن انشغال الولد أو البنت بشيء آخر في حضرة والديهما يعتبر من سوء التأدُّب معهما.

قاطعتُ زوجي وقلتُ:

- أريد أن أوضح ما قالته أمكم أكثر. إن انشغال الأولاد بشيء آخر أثناء حديث والديهم لهم يعتبر من سوء الأدب معهما، كما قالت أمكم، وأما إن كان الوالدان مشغولَيْن بأمرٍ

آخر، أو يتحدثان إلى شخصٍ آخر، فلا بأس أن يشتغل الأولاد بما لا يُؤذي الوالدين.

تابعت زوجي حديثها فقالت:

- أحسنتَ يا أبا أحمد على هذا التوضيح، وأضيف بأن من وسائل البِرِّ بالوالدين الإحسان إليهما، وخاصة عندما يكبران في السِّن، وهذا له صورٌ عديدة منها قضاء حوائجهما، ومساعدتهما في أعمالهما، والاعتناء بهما عندما يكونان مريضَيْن أو غير قادرَيْن، وكذلك إدخال السرور إلى قلبَيْهما بكثرة الجلوس معهما، ومؤانستهما بحسن الحديث إليهما والثناء عليهما والدعاء لهما في حضرتهما، وتقديم الهدية لهما- وخاصة في المناسبات-.

صلة الرحم والإحسان إلى الجيران وذوي القربى من دلائل المحبة لله

قلتُ:

- ومن دلائل محبة اللَّه- سبحانه وتعالى- أيضًا طاعته في صلة الرحم والإحسان إلى الجار، ورسولنا- عليه أفضل الصلاة والسلام- أخبرنا بأنَّ مَن لا يصل رحمه فإنه لا يدخل الجنة، حيث قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»[1]. كذلك، إن الرسول ﷺ أمرنا بالإحسان إلى الجار فقال: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُه »[2]، وحذَّرنا من

(١) رواه مسلم (حديث رقم: ١٩)، وأبو داود (حديث رقم: ١٦٩٦).

(٢) رواه البخاري (حديث رقم: ٦٠١٥)، ومسلم (حديث رقم: ١٤١).

الإساءة إلى الجيران فقال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[1]، وفي رواية أخرى أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ. قَالُوا: وَمَنْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: شَرُّهُ»[2].

شكر النعم من دلائل المحبة لله

فسأل محمد قائلاً:

- وهل شكر النعم يعتبر نوعًا من المحبة للَّه؟!!

(١) رواه مسلم (حديث رقم: ٧٣)، وأحمد (حديث رقم: ٨٨٥٥).

(٢) رواه أحمد (حديث رقم: ٨٤٣٢).

قلتُ:

- نعم يا محمد، فإن مَن يشكر الناس يعتبر صاحب خلق حسن، فكيف بمَن يشكر اللَّه الذي امتنَّ علينا بكل هذه النِّعَم العظيمة؟!! وأنتم تدركون أنه لو اشترى أحدكم لعبة بعشرة ريالات فإنه سيفرح إن أراد شخصٌ آخر أن يشتريها منه بمائة ريـال، ولكن هل يرضى أحدكم أن يُعطى ألف ريال أو حتى مليون ريال مقابل واحدة من عينيه أو أذنيه أو لسانه أو غير ذلك من جوارحه؟!! طبعًا، لن يقبل إنسان بذلك، وهذا يدلنا على أن كل واحدة من هذه الجوارح نعمة عظيمة، وعلينا أن نشكر اللَّه- سبحانه وتعالى- عليها، واللَّه يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧).

النفاق أسوأ من الكفر بالله

فسأل أحمد:

- وهل هناك من المسلمين مَن لا يحبُّون اللَّه أو لا يحبُّون رسوله؟!!

قلتُ:

- نعم يا ولدي، فأنت تعلم أن اللَّه أمرنا بتطهير أنفسنا من الذنوب والمعاصي، وذلك بالتوبة الصادقة منها، وأمرنا كذلك بتطهير قلوبنا من الشرك والشك والحسد والحقد والغل والغش والكِبْر والعُجْب والرياء والسمعة، ولا يكون ذلك إلا بالإخلاص واليقين وحب الخير والحِلم والصدق والتواضع، وإرادة وجه اللَّه تعالى في كل أعمالنا وأقوالنا، وذلك بإخلاص النية له- سبحانه-.

لكن هناك من الناس مَن لم تتطهر قلوبهم ولم تَصْفُ سرائرهم له سبحانه، ولذلك فهم يتَّصفون بالنفاق والرياء والكِبْر، وهذه من أهم السِّمات التي يتحلى بها مَن يدَّعون أنهم مسلمون، وهي- في حقيقتها- تنفي عنهم الإيمان والحب للَّه.

قاطعتني ابنتي هاجر، فقالت:

- وما معنى النفاق والرياء والكِبْر يا أبي؟

قلتُ:

- النفاق يا ابنتي أن يظهر الإنسان أمام الناس وكأنه مؤمن تقي، ولكن قلبه يكره الإسلام ويكره المسلمين، وهذا أخطر أنواع النفاق، وهو ما يُسمى بالنفاق الاعتقادي. لكن هناك نوعٌ آخر من النفاق، وهو ما يُعرف بالنفاق العملي، وهو

أن يتساهل الإنسان في اقتراف بعض المعاصي، وكأن اللَّه غير مطّلعٍ عليه.

قاطعتني هاجر مرة أخرى قائلة:

- يا اللَّه!! ألا يخاف هؤلاء اللَّه؟!!

قلتُ لها:

- المنافق يا ابنتي لا يخاف اللَّه، وإنما يظن أنه بتصرُّفه هذا يخادع اللَّه، كما قال- سبحانه وتعالى- عنهم في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة: ٨-١٠).

فسأل محمد:

- وهل هؤلاء مسلمون يا أبي؟

قلتُ: هم يعيشون بين المسلمين، ويعتبرون أنفسهم منهم، ولكنهم في الحقيقة أسوأ من الكفار.

فعلَّق محمد قائلاً:

- هذا يعني أنه لا يستطيع أحدٌ معرفتهم، أليس كذلك؟!!

ردَّت زوجي:

- بالرغم من أنهم يندسُّون في صفوف المسلمين، ويحاولون أن لا يكتشفهم أحد، غير أن رسولنا الحبيب- عليه الصلاة والسلام- أوضح لنا بعض صفاتهم عندما قال عنهم: «آيَةُ الـمُنَافِقِ ثَـلاَثٌ: إِذَا حَدَّث كَذَبَ، وَإِذَا

وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ »[1]، وهذا يعني أن مَن يكذب ففيه خصلة من النفاق، ومَن لا يفي بوعده ففيه خصلة من النفاق، ومن يخون الأمانة ففيه خصلة من النفاق.

الكذب كبيرة من كبائر الذنوب

فقالت ابنتي هاجر ببراءتها:

- إني أسمع كثيرًا من الطالبات في المدرسة يكذبْنَ، فهل معنى هذا أنهنَّ منافقات؟!!

قلتُ لها:

- يا ابنتي إن الكذب خلقٌ ذميم، وهو يبدأ وكأنه مزاح وتسلية، ولكنَّ تَعَوُّد الإنسان عليه

(١) رواه البخاري (حديث رقم: ٣٣)، ومسلم (حديث رقم: ١٠٧).

قد يُوْدي به إلى النار- والعياذ باللَّه-، كما جاء في الحديث الشريف: «وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُور، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا »[1]. كذلك، الكذاب يُعتبر فيه صفة من صفة المنافقين، ونحن نعلم أن المنافقين أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة، كما قال اللَّه- سبحانه وتعالى- عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٤٥).

علَّقت زوجي:

- من أجل هذا، فإن عليكم يا أحبابي أن تتعوَّدوا على قول الصدق، وأن لا تقولوا الكذب حتى وإن كان مزاحًا، وإذا سمعتم مَن يقول

(١) رواه مسلم (حديث رقم: ١٠٥).

الكذب فعليكم أن تنصحوه، وإن لم تستطيعوا نصحه أو لم يتقبل منكم النصح فعليكم أن لا تجلسوا معه.

فقال أحمد:

- وإذا كان الكذب هو الخصلة الأولى من خصال المنافقين، فماذا عن الخصلة الثانية؟

خُلْف الوعد من صفات المنافقين

أجبته قائلاً:

- يا بُنيَّ، كما أن الكذب يعتبر من كبائر الذنوب، فكذلك عدم الوفاء بالوعد يعتبر من الأخلاق الذميمة التي على الإنسان أن يتجنبها، وديننا الحنيف يأمرنا بالوفاء بوعودنا مهما كلَّفنا ذلك، وجعل الوفاء بالوعد من صفات الأبرار.

فقال محمد:

- وهل يعني هذا أني إذا وعدتُ شخصًا بشيء، فعليَّ أن أعطيه ذلك الشيء؟!!

قلتُ له: نعم!!

فقال:

- ولكن، ماذا لو كنتُ أمزح معه فقط؟!!

قلتُ له:

- في هذه الحالة تكون قد كذبتَ عليه، وهذا أمرٌ لا يرضاه اللَّه ورسوله، كما بيَّنا قبل قليل.

خيانة الأمانة من صفات المنافقين

رفعت هاجر يدها، فقالت:

- وكيف يكون الإنسان خائنًا للأمانة؟

ردَّت عليها زوجي:

- يا ابنتي، إذا أعطاكِ شخصٌ شيئًا وطلب منكِ أن تحتفظي به عندكِ، فذلك الشيء يعتبر أمانةً عندكِ، وعليكِ المحافظة عليه، إلى أن يأتي صاحبه فيطلبه منكِ، وخيانة الأمانة أن تُنكري ذلك الشيء، وهو أمرٌ خطيرٌ يا أولادي؛ ففيه أكلٌ لأموال الناس وحقوقهم بغير حق.

علَّقتُ على ما قالته زوجي، فقلتُ:

- إن مفهوم الأمانة أبعد مما هو معلومٌ عند غالبية الناس؛ فأنتم مثلاً عندما تكونون في المدرسة فعليكم المحافظة على كل ما فيها من مرافق وأثاث وأجهزة وأشجار وغير ذلك، وإذا قام أحد الطلاب بالعبث أو إتلاف شيء منها فإنه يُعتبَر خائنًا للأمانة.

كذلك، إن على الموظف أن يحافظ على الأشياء الموجودة في مكان عمله، وأن لا يقوم

بإتلاف شيءٍ منها أو استخدامها فيما هو غير مسموح به، فمثلاً، تكون في مكاتب كثيرٍ من الموظفين هواتف خاصة بالعمل، فإذا قام أحدهم باستخدام هاتف العمل للاتصال بأهله وأصدقائه أو لقضاء أعماله دون إذن المسؤولين، فإنه يُعتبَر خائنًا للأمانة.

أضافت زوجي:

- ولا تقتصر أمانة الموظف في المحافظة على ما هو موجود في بيئة العمل فقط، ولكن تأدية العمل على أكمل وجه يُعتبر من أهم صور الأمانة، والتقصير فيه أو الانشغال عنه بالأمور الشخصية يُعتبر من أهم صور خيانة الموظف لوظيفته.

فقالت هاجر:

- ألاحظ أن بعض الطالبات يقُمْن برمي الطباشير على بعضهنَّ البعض، ومنهنَّ مَن يقُمْن بالكتابة على الجدران أو اللوائح المعلقة، فهل يُعتبَر هذا خيانة للأمانة؟!!

قلتُ لها:

- نعم يا ابنتي، فإن على الطالب المحافظة على كل ما هو موجود في المدرسة، ورمي الطباشير فيه إتلافٌ لها، والكتابة على الجدران واللوائح فيه إتلافٌ للجدران واللوائح.

فقال أحمد:

- وهل على الطلاب أمانة المحافظة على هذه الأمور فقط في المدرسة؟!!

ردَّت عليه زوجي قائلة:

- يا أحمد، المسلم مؤتمن على كل ما في هذا الكون، وعليه أن لا يسيء استخدام شيء منه، ولو فعل شيئًا من ذلك فإنه يُعتَبر خائنًا للأمانة؛ فإذا ذهبنا مثلاً إلى الحديقة العامة فعلينا أن لا نعبث بورودها والألعاب الموجودة فيها، وأن لا نرمي القمامة فيها، وإذا ذهبنا إلى الشاطئ فعلينا أن نحافظ على جماله، وأن لا نرمي فيه الأوساخ أو نعبث بالمرافق الموجودة فيه.

زدتُ قائلاً:

- والسائق في سيارته يُعتبر مؤدِّيًا للأمانة إن هو التزم بقوانين المرور، واحترم الآخرين الذين يسيرون في هذا الشارع، وأما المتهوِّر في السياقة والـمُسرِع والمخالِف لأنظمة المرور فإنهم يُعتَبرون خائنين للأمانَة.

الرياء هو الشرك الأصغر

ثم سأل أحمد:

- وماذا عن الرياء يا أبي؟

قلتُ:

- الرياء هو أن يُزيِّن الإنسان العبادة من أجل أن يمدحه الناس.

فقالت هاجر:

- وكيف يُزيِّن الإنسان عبادته؟!!

فردَّ عليها أحمد:

- مثلاً، إذا كان الإنسان يصلي لوحده فإنه قد يُسرِع في صلاته، ولكنه عندما يشاهد شخصًا قادمًا فإنه يخشع في صلاته، من أجل أن يمدحه ذلك الشخص.

علّق محمد، فقال:

- إني أشاهد كثيرًا من الأولاد يقومون بذلك في المسجد.

فقالت زوجي:

- الرياء ليس خاصًّا بالأولاد فقط، ولكن الكبار يقعون فيه كثيرًا، وهذا منشؤه عدم الخوف من اللَّه، وعدم الشعور بمراقبته سبحانه، فعلى الإنسان أن يعلم أن اللَّه يراقب جميع أقواله وأفعاله، وأن لكل إنسان مَلَكٌ عن يمينه وآخر عن شماله يكتبان أعماله. كذلك، قد ذكر اللَّه- سبحانه وتعالى- في كتابه أن جميع الجوارح ستشهد على الإنسان يوم القيامة، إذ قال سبحانه في سورة النور: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤)، وقال في سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰ

إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٢٠-٢٢).

فقال محمد:

- يا اللَّه!! إذا كان اللَّه والملائكة والجوارح يراقبون أعمال الإنسان وأقواله، فكيف يمكنه أن يعمل أمورًا لا يرضاها اللَّه- سبحانه وتعالى-؟!!

قلتُ:

- يا أبنائي، إن الرياء أمرٌ خطير، وقد سمَّاه الرسول ﷺ بالشرك الأصغر، لأن مَن يقوم بأعماله من أجل أن يمدحه الناس، فكأنه اتخذ أولئك الناس آلهة أخرى مع اللَّه. يقول رسول اللَّه ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1]. ولهذا، فعليكم يا أبنائي عندما تقومون بعمل أن تخلصوا النية فيه للَّه وحده، وأن لا يكون همُّ أحدكم مدح الناس وثناءهم عليه، وأن تتذكروا أن اللَّه لا يقبل العمل من الإنسان إلا ما كان خالصًا لوجهه- سبحانه وتعالى-.

(١) رواه مسلم (حديث رقم: ٦٤).

تأدية الفرائض والنوافل

قالت زوجي:

- وعلينا أن لا ننسى يا أحبابي أن اللَّه لا يقبل من الإنسان عملاً ما لم يؤدِّ أولاً ما افترضه عليه من واجبات وحقوق، وأيضًا أن لا يتهاون في تأدية النوافل.

قاطع محمد أمه قائلاً:

- لقد كان درسنا اليوم في مادة التربية الإسلامية يتعلق بشرح آية البرِّ، والتي يقول فيها- عزَّ مِن قائل-: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

فقلتُ له:

- أعطنا نبذة مما استفدتَه من هذه الآية الكريمة.

فقال:

- إن الآية الكريمة تقول بأن البِرَّ هو أعلى مراتب الإيمان، ولا يمكن أن يتحقق إلا إن قام الإنسان بالأعمال التي ذُكِرت في الآية ومنها الإيمان باللّه واليوم الآخر والملائكة والنبيين، ثم التصدُّق على الأقارب واليتامى والفقراء،

ثم تأدية الفرائض كالصلاة والزكاة، ثم الوفاء بالعهد، والصبر على الشدائد والـمِحَن.

فعلَّقت زوجي قائلة:

- ما شاء اللَّه يا محمد، لقد كفيتنا مؤونة الكلام الذي كنتُ أريد أن أقوله لكم، وأزيد على ما قلتَه بأن علينا أن نتذكر أن نؤدي كل تلك الأعمال بإخلاص للَّه- سبحانه وتعالى-. كذلك، إن الأعمال التي ذُكِرت في الآية هي فقط بعض الأعمال، وهناك أعمالٌ كثيرة غيرها كالصيام والحج وبرِّ الوالدين وزيارة الأقارب وصلة الأرحـام والتصدُّق عليهم، وكذلك المشاركة في الأعمال الخيرية التي تقام في المجتمع وبذل المال عليها.

أضفتُ على ما قالته زوجي:

- وقبل ختام هذا الدرس أريد أن أنبِّه إلى أن الإنسان الحذر من الوقوع في المعاصي بسبب مكائد الشيطان، كما حذَّرنا سبحانه من ذلك، فقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧). ولكن مَن أغوته نفسه، ووقع في حبائل الشيطان، فعليه المبادرة إلى التوبة، وحبيبنا المصطفى- عليه أفضل الصلاة والسلام- يُذكِّرنا بذلك فيقول: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[١]. وقد أوجد لنا ربنا- سبحانه وتعالى- مخرجًا

(١) رواه الترمذي (حديث رقم: ٢٤٩٩)، وابن أبي شيبة (حديث رقم: ٣٤٢١٦).

من الذنوب والمعاصي والخطايا التي نرتكبها؛ وذلك بالتوبة والاستغفار والدعاء والتضرُّع له- سبحانه- بأن يغفر لنا الذنوب ويكفِّر عنا السيئات ويحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويعلِّمنا- سبحانه- في سورة آل عمران كيف ندعو اللَّه فيقول بصيغة الدعاء: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِى الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَآتِنَا

مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩٤)،

ويقول الشاعر:

لا تسألنَّ بُنيَّ آدمَ حاجةً
وسَلِ الذي أبوابُهُ لا تُحجَبُ
فاللَّهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَهُ
وبُنيُّ آدمَ حينَ يُسألُ يغضبُ

فعلَّقت زوجي قائلة:

- أحسنتَ يا أبا أحمد، وعليكم أن تعلموا- يا أبنائي- بعض آداب الدعاء التي منها: اليقين في الإجابة، وألا نستعجل الإجابة فإن هناك من الدعاء ما يجاب، ومنه ما يُدفع به البلاء، ومنه ما يُدَّخر ليوضَع في ميزان حسنات الإنسان

يوم القيامة، وعليكم أن تعرفوا أن الدعاء خيرٌ كله،كما جاء في حديث النبيﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَبْسُطَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرُدَّهُمَا خَائِبَتَيْنِ**»[1].

قلتُ:

- بورك فيك يا أم أحمد، وبورك فيكم جميعًا يا أبنائي. لقد تعلَّمنا في هذا الدرس الكثير من الأعمال والفضائل التي علينا المحافظة عليها، والتي سنُفصِّل فيها- بإذن اللَّه- في الدروس القادمة.

(١) رواه الحاكم في المستدرك (حديث رقم: ١٨٣١).

الحوار الثاني:

التربية الأخلاقية والاجتماعية للطفل

نظَّمت مدرسة الأبرار للتعليم الأساسي ندوة حول التربية الأخلاقية والاجتماعية للطفل، حضرها لفيفٌ من المعلمين وخبراء التربية وأولياء الأمور، وفي بداية الندوة شكر مدير المدرسة الحضور على المشاركة في هذه الندوة، وخصَّ بالشكر مقدِّمي الندوة وأولياء الأمور، ثم ترك المجال للأستاذ ياسين- معلم التربية الإسلامية- ليدير الندوة.

الأخلاق من ركائز ديننا الحنيف

بدأ الأستاذ ياسين بشكر الحاضرين من أساتذة ومربِّين وأولياء أمور، ثم قال:

- أيها الإخوة: تعلمون أن مسألة السلوك الأخلاقي تُعدُّ الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أيُّ نشاط إنساني؛ فهي القوة التي تُنظِّم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها التعبدية والتعاملية، ومن هنا فإن فقدان الإنسان للسلوك الأخلاقي الطيب ينعكس وبصورة سلبية على تعاملاته. وكما تعلمون، فإن البيئة النظيفة تحتاج إلى إنسان لديه من القِيَم الخلقية ما يجعله يغار على تلك البيئة ويسعى جاهدًا للمحافظة عليها، باذلاً جهده ووقته وماله من أجل خدمتها والدفاع عنها.

من هنا، أشاد الإسلام بالخلق الحسن، ودعا إلى تربية المسلمين عليه، وتنميته في نفوسهم، وفي ذلك نجد الحق- تبارك وتعالى- قد أثنى على النبيﷺ بحسن خلقه، فقال في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وأخرج أحمد عَنْ عَمْرِو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبيه، عَنْ جَدِّه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا»(١).

وقبل أن نشرع في القضايا الأخرى، نريد من الدكتور عبدالرحمن- المتخصِّص في التربية

(١) رواه أحمد (حديث رقم: ٦٧٣٥).

السلوكية في معهد الأنوار- أن يحدثنا أكثر عن أهمية الأخلاق في العملية التربوية.

استفتح الدكتور عبدالرحمن حديثه بشكر القائمين على هذه الندوة والحضور الكرام، ثم قال:

- تعلمون يا آبائي وإخواني بأن الحاجة للالتزام بالأخلاق الإسلامية تبدو اليوم ماسة أكثر من أيِّ وقت مضى، وذلـك من أجل الخروج بالبشرية كلها إلى ساحة النجاة والأمان، بعدما أفسدت الفلسفات الوضعية ذات المنحى المادي القِيَم في معظم الأمم المعاصرة، وشَوَّهت صورة الأخلاق، مما جعل الناس يتخبَّطون فيما نراه اليوم من فساد، وانتشار للرذائل، وانهيار شامل في القِيَم والـمُثُل.

إن المتأمل في واقع المجتمعات المعاصرة ليلمس وبكل سهولة مدى التدهور الأخلاقي، وانعدام العديد من القِيَم التي كانت تميز مجتمعاتنا في السابق؛ حيث نرى انتشار الكذب والرذيلة بصورة كبيرة، بل لقد أصبح الحياء عملة نادرة، وانتشر التهوُّر بين جموع الشباب، وغاب التوقير والاحترام داخل الأسرة، وتقطعت الأرحام، وقلَّ الإخلاص، إلى ما هناك من المظاهر التي تُعبِّر عن التدهور الأخلاقي.

لذلك، إن الإعداد الخلقي للطفل هو الذي يجعل من الصفات الحسنة، كالصدق والأمانة، والإخـــلاص والـوفـاء، والشجاعة والعفة، والمروءة والعدل وغيرها عادات في سلوك أبنائنا وبناتنا وحركتهم الدائبة، كما تجعلهم ينفرون في سلوكهم اليومي من الصفات السيئة،

كالحسد والحقد، والخيانة والكذب، والظلم والغدر وغيرها، وبهذا الإعداد تختفي أيضًا كثيرٌ من المظاهر الغير مرغوبة في السلوك الإنساني، كالحمق والتكبُّر، والصَّلَف والتهوُّر، والخوف والجزع، وقبول الذل والمهانة، والخشونة والغلظة في معاملة المؤمنين.

وللأخلاق دورٌ كبير أيضًا في المحافظة على البيئة من التلوث بمختلف أنواعه ومجالاته؛ سواءٌ أكان في التلوث المائي أم الهوائي أم الإشعاعي أم الضوضائي. كذلك، إن للأخلاق دورًا مهمًّا في كبح جماح عمالقة العالم من سباق التسلُّح وما يصاحب ذلك من تدميرٍ للبشر والمجتمعات، ولا ننسى أن الأخلاق هي ركيزة المساواة بين الشعوب وزوال الطبقيات، وهي سبب لزوال ثالوث الفقر والجوع والبطالة.

الأعمدة التي تقوم عليها التربية الأخلاقية

شكر الأستاذ ياسين الدكتور عبدالرحمن على ما قدَّمه من إيضاح جليٍّ لأهمية الأخلاق، ثم طلب من الدكتور رائد- الموجه التربوي في وزارة التربية والتعليم- أن يتحدث عن المسؤول عن زرع الأخلاق وتنشئتها في قلوب أبنائنا وبناتنا.

استهلَّ الدكتور رائد حديثه بشكر القائمين على هذه الندوة لإتاحة الفرصة له للمشاركة، ثم قال:

- إن غرس الأخلاق الحميدة في نفوس الأطفال ليُعَدُّ من أبرز وأهم الأسس العلمية السليمة في التربية، ولا يمكن للأخلاق أن تنشأ وتترعرع إلا من خلال تغذيتها المتواصلة من

بيئات التربية الثلاث الأساسية: الأسرة والمدرسة والمجتمع، ثم غيرها من البيئات.

أما الأسرة فإنها تُغذِّي الصغار بالصفات الخُلقية الحسنة عن طريق الممارسة اليومية، والسلوك الخلقي الحسن للوالدين، وترجمة ذلك لمعاني المسؤولية والصدق والأمانة؛ ليعرف الطفل الأخلاق سلوكًا طبيعيًّا عمليًّا قبل أن يعرفها في معانيها المجردة، فإذا ما تربى الطفل في صغره ونشأ على أساس تربية إسلامية صالحة، غدا في كِبَره صلبًا لا يُخشى عليه من المتاهات التي ربما تواجهه في حله وترحاله، أو تصونه من الانجرار في دوامة الفساد والإفساد، وأيضًا فإن غرس القِيَم التربوية السليمة يكون عن طريق القصة والأمثلة وتجارب الآخرين،

وتحبيب التجارب الإيجابية إليهم، وتحذيرهم من التجارب السلبية.

إن الاهتمام بالطفل يبدأ منذ ولادته ليكون سعيدًا في الدنيا والآخرة؛ وذلك بتربيته على الجوانب الشرعية والإنسانية لِيَشُبَّ طفلًا متوازنًا يستطيع مواجهة مشاكل الحياة، ويكون صاحب شخصية قيادية في مجتمعه، ولذا على الأبوين زرع صفات مهمة في شخصيته كالتفوق وسرعة البديهة والثقة بالنفس، وأن يُعلِّماه كيف يُعبِّر بطلاقة عمَّا بداخله، وأن الأمانة والصدق هما من لوازم النجاح في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن صفة العطاء والرحمة بالآخرين هي صفة الأقوياء، وعلى الوالدين أيضًا تدريب أطفالهم على الجود والعفو والحِلم والشجاعة، وتخويفهم من السرقة والخيانة والكذب والغيبة

والنميمة والغش في الكلام وأكل الحرام، وتعليمهم مراقبة اللَّه تعالى في السمع والبصر والفؤاد.

إن الأطفال يراقبون سلوك الكبار، ويقتدون بهم، ولذا لا يجوز خداعهم ولو هزلًا أو كذبًا، وينبغي أن يكون ذلك كله عن طريق الممارسة والتطبيق؛ فعند تسليتهم أو إضحاكهم أو سرد قصص وحكايات عليهم ينبغي ألا يدخل فيه الكذب حتى ينشأ الطفل صادقًا واثقًا من نفسه، وحينئذ تستقر العقيدة الصحيحة في حياة الطفل دون خلل، ويتعلم منها كيف يواجه الحياة بثقة وإيمان، وبذلك ينشأ على ركيزة ثابتة قادرة على مواجهة صعوبات الحياة.

ولا شك أن المسجد هو مكان الإشعاع الروحي والثقافي الذي يصوغ سلوك الإنسان

من نقاء وطُهْر، وعفاف وتجرُّد، وانضباط والتزام، وإذا تمكنت الأسرة من ربط أبنائها بالمسجد فإن ذلك سيكون- بإذن اللَّه- عونًا لتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة من خلال ما يشاهده الطفل من حُسْن التعامل بين المصلين، وما يسمعه من مواعظ وإرشادات، وما يأخذه من رقائق تطهر قلبه وتزكيه.

وأما في المدرسة فإن الطالب يتلقى العلم النظري للأخلاق من خلال المناهج الدراسية، وفي الوقت نفسه يشاهد الممارسة العملية لها والمتمثلة في سلوك الهيئة الإدارية والتدريسية، بالإضافة إلى سلوك الطلاب أنفسهم، وكلما تناغم سلوك الموجودين في المدرسة، كان الطالب أكثر استقرارًا من الناحية الخلقية، وحفَّزه ذلك على تقمُّص ذلك السلوك، وأما إن رأى

تضاربًا بيِّنًا بين مادة الأخلاق النظرية والتطبيق العملي لها، فإن ذلك قد يحفِّزه على تقمُّص أخلاقيات شائنة كالنفاق والرياء والكذب، بالإضافة إلى تبنِّي السلوك غير السَّويِّ الذي يبدو أكثر مواءمة لطبيعته المضطربة.

والمنهج الدراسي له وسائله المباشرة وغير المباشرة في تربية الأخلاق؛ فالدروس الخاصة بالتربية الخلقية والتي تهدف إلى تعليم الفضائل، وتحض على العادات الطيبة والسلوك الحسن هي من الوسائل المباشرة، وأما تهيئة الجو المدرسي الذي يتبادل فيه الطلاب التجارب الحسنة، والخبرات الطيبة، ويتدربون عمليًّا على ممارسة سلوك الفضيلة والخير والحق في بيئة اجتماعية صالحة موجَّهة فهذه من الوسائل غير المباشرة التي تُعدُّ أكثر

نفعًا وأعظم جدوى من تعليم الأخلاق نظريًّا لأن علم الأخلاق ودراسته شيء، وممارسته في السلوك اليومي شيء آخر.

أما بالنسبة للمجتمع فإن التربية الأخلاقية تقوم على ضوابط معينة؛ فالصحبة الصالحة والرفقة الحسنة تعتبران المزرعة التي تجني الأسرة والمدرسة من خلالهما نتائج ما تزرعانه في نفس الطفل، وبدونهما تظل التربية الأخلاقية مجرد وهم، وقد قيل في الأمثال المعروفة: الصاحب ساحب، وقيل: قل لي مَن تصاحب أقُلْ لك مَن أنت.

ونحن نعلم أن الفرد يتأثر بمن حوله كما يتأثر بما حوله من بيئة يعيش فيها، وأسرة ينشأ بين جدارها، ولذلك شبَّه الرسول ﷺ الجليس الصالح ببائع المسك، والجليس السوء بنافخ

الكير، فكلاهما مؤثر في صاحبه، والإنسان بطبعه مقلِّد لأصدقائه في سلوكهم ومظهرهم وملبسهم، فمعاشرة الأبرار والشجعان تُكسِب الفرد طباعهم وسلوكهم، بينما تُكسِبه معاشَرةُ المنحرفين انحرافَهم أو تقبُّلَ انحرافِهم.

ولا يقتصر دور المجتمع على جانب القدوة وإنما يجب أن تكون هناك بيئة صالحة يمارس فيها الطفل حياته الأخلاقية؛ فالمكتبة لها دورها في تهذيب أخلاقه وسلوكه، والمتجر له دورٌ في صقل عقلياته وفكره من خلال ما يُباع فيه؛ فلو تربى الطفل في البيت على حرمة الخمر والسجائر وغيرها، وتعلَّم في المدرسة مثل ذلك، ولكنه يشاهد بيع الخمور أو السجائر في المحلات التجارية فإن ذلك سيُربك المنظومة الأخلاقية لديه، ويوقعه- في أقل أحواله- في

ريبة قد تؤثر عليه سلوكيًّا وربما عقديًّا- والعياذ باللَّه-، وذلك مما يراه من انفصام بين ما يتعلم وبين ما يمارسه الناس.

كذلك، إن للإعلام تأثيره الواضح في تشكيل أخلاقيات الناشئة، وللأسف الشديد فليس هناك فيما يُعرَض في إعلامنا المرئي والمقروء ما يدعو إلى الارتياح؛ فقد صارت قنوات الجنس والمجلات الهابطة والروايات الساقطة والمواقع الإباحية هي ما يستيقظ عليه الطفل وينام، وإذا كان بمقدور الأسرة والمدرسة معالجة الفساد الأخلاقي أثناء حركة الطفل اليومية في البيت أو المدرسة، فإن معالجة- بل حتى التعرُّف على- الفساد الأخلاقي الذي يكتسبه الطفل وهو على سريره أو أثناء تصفحه لهاتفه بات أمرًا صعبًا.

من هنا، فإن على الأسرة والمدرسة والمجتمع التكاتف لنشر التوعية الكافية لجعل الممارسات التي يقوم بها الطفل في غرفته أو مدرسته أو في الشارع تسير وفق المنظومة الأخلاقية السليمة التي يُراد له اكتسابها وممارستها.

القدوة الصالحة: أهميتها وكيفية غرسها

بعد أن أنهى الدكتور رائد حديثه شكره الأستاذ ياسين على ما قدَّم، ثم أحال الميكروفون إلى الأستاذ علاء- المتخصِّص الاجتماعي بمركز شفاء- وطلب منه الحديث عن علاقة القدوة بالأخلاق وكيفية غرسها في الناشئة.

شكر الأستاذ علاء الحاضرين والمنظمين للندوة، ثم استهلَّ حديثه عن القدوة فقال:

إن المنهجَ الإلهيَّ في إصلاح البشرية وهدايتها إلى طريق الحق يعتمد على وجودِ القُدْوَة التي تُحوِّل تعاليمَ الشريعة ومبادءَها إلى سلوكٍ عمليٍّ، وحقيقةً واقعةً أمام البشر جميعًا؛ فكان رسول اللَّه ﷺ هو القدوةَ التي تترجم المنهج الإسلامي إلى حقيقة وواقع، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، ولما سُئِلَت أم المؤمنين عائشة- رضي اللَّه عنها- عن خُلُقِه ﷺ قالت: «كان خُلُقُهُ القُرآنَ»[١].

فكما هو معروف فإن الطفل قد يصعب عليه إدراك المعاني المجردة؛ لذا فهو قد لا يقتنعُ بتعاليم المربي وأوامره بمجرد سماعها، بل

(١) رواه أحمد (حديث رقم: ٢٤٦٠١)، والطبراني في الأوسط (حديث رقم: ٧٢).

يحتاج مع ذلك إلى المثال الواقعيِّ المشاهَد، الذي يدعمُ تلك التعاليم في نفسه، ويجعله يُقْبل عليها ويتقَبَّلُها ويعمل بها. وهذا أمرٌ لم يَغْفَل عنه السَّلَف الصالِح، بل تنبَّهوا له، وأَرشَدوا إليه المربين، فها هو عمرُو بن عتبة يُرشِد مُعلِّمَ ولده قائلًا: «**لِيَكُنْ أوَّلُ إصلاحِكَ لِبَنِيَّ إصلاحُك لنفسِك؛ فإن عيونَهم معقودةٌ بعينك، فالحَسَنُ عندهم ما صَنَعْتَ، والقبيحُ عندهم ما تركتَ**»؛ وهذا يؤكدُ أنه لا سبيل إلى التربيةِ السليمة إلا بوجود قُدوةٍ صالحةٍ تغدو نموذجًا عمليًّا للامتثال للأوامر، والاستجابة لها، والانزجار عن النواهي والامتناع عنها.

وللأسف، هناك خلطٌ كبير في الأذهان بين مفهوم القدوة بشكل عام، ومفهوم القدوة الحسنة بشكل خاص؛ فالأطفال يشِبُّون وقد

وضعوا في أذهانهم أن الأبَ أو الأم هو القدوةُ التي يفترض أن تكون، وبالرغم من قصور الأبِ والأم أحيانًا نجد أن الطفل لا يُميِّز ذلك، بل وتفرض عليه طبيعة المجتمع أن يحتذي بوالديه أو أحدهما؛ لكي يحكم عليه المجتمع بكونه ابنًا بارًّا، وهذا ليس إلا صورة لِما كان سائدًا في الماضي، فإن لم يكن الأب أو الأم قدوة حسنة حقيقية فلا ضرورة لأن يحتذيَ بهما الطفل، وإلا نشأ مقتدِيًا بقدوةٍ ليست على الدرجة المطلوبة من الكفاءة والمثالية، وإنْ تفهَّم الأبُ والأم ذلك، فسيجدانِ أن عليهما الكثير ليهتمَّا به ليكونا مثالاً جيدًا لأطفالهم.

إنَّ زرع القدوة الصالحة بين الأولاد والتركيز عليها من الأمور المهمة في التربية السليمة، ولا شك أن دراسة سِيَر الأنبياء والرسل والأبطال

والنابغين في ميادين العلم والمعرفة والقتال والحرب، وعلى رأس ذلك دراسة سيرة سيد الخَلْق- صلوات اللَّه وسلامه عليه-؛ باعتباره القدوة الأولى للبشرية، تبعث الروح الخيِّرة في الناشئة، وتُجسِّد فيهم معاني التضحية والفداء في سبيل الـمُثُل العليا، والمبادئ السامية، ولا ننسى أن نجعلهم يأخذون من قصص القرآن عظة وعبرة ونورًا يهتدون به في مواجهة ما تُخبئه لهم الحياة من مواجهات وتحديات.

إن المجتمع يتجه اليوم إلى تأكيد الاحتياجات والطموحات الشخصية والماديات مما يجعل الآباء يجدون صعوبة في إقناع أبنائهم بأهمية القدوة الصالحة، وغرس قِيَم الفضيلة والاحترام والمسؤولية وحقوق الغير في ظل نماذج كثيرة تبدو في أعين الناس ناجحة، ولكنها ضاربة

بمثل هذه القِيَم عرض الحائط، وفي ظل غياب التوعية الدينية، والتفكُّك الأُسَري، وارتفاع معدلات الطلاق، وتشتُّت الأبناء بين الآباء والأمهات، تصبح قضية القدوة أكثر تعقيدًا في نفوس الناشئة.

إن علينا أن نساعد أبناءنا في فهم الشخصيات والحُكْم عليها، ثم نترك لهم مساحة كافية للحُكم بحرية؛ فليس المطلوب أن نختار لهم مَن يقتدون به، وإنما تعليمهم كيف يختارون قدوتهم، وكيف يُميِّزون بين القدوة الحسنة والسيئة، وكيف يعزلون القيمَ الجيدة عن ميول الأشخاص واتجاهاتهم، بل وشخوصهم وعلاقتهم بهم.

إن ما يحدث في مجتمعاتنا هو أن يختار الواحد قدوة ما فيلازمها في كل جوانبها دون

تفكير أو تمييز، والبعض يتخذ والده مثلاً أعلى، فيحاول تقمص شخصيته بكل ميزاتها وعيوبها، وتراه يخلط بين القيمة الجيدة في شخصية والده وبين شخصية والده ذاتها؛ فقد يكون والده قارئًا جيدًا يعشق القراءة، ولكنه يحب قراءة الكتب السياسية أكثر من غيرها، فماذا يرى الابن؟ يرى أن عليه أن يقرأ في السياسة بالتحديد كوالده، وهو بهذا لم يميز بدقة بين قيمة القراءة لدى والده وحرصه عليها، وإنما خلط قيمة القراءة بميول والده ورغباته كشخص، وقد لا تتوافق ميولُ الوالد وولده، فيحدث الارتباك، وقد يقع الابن فريسة لذلك الارتباك، فهو يريد أن يقرأ كوالده، ولكنه لا يرغب في السياسة، ولأن والده يقرأ في السياسة يشعر هو بالذنب؛ فهو ليس كوالده، وتنتابه الشكوك بأنه ليس كفئًا

كوالده، وأنه قد يكون شخصية غير ناضجة، بل ربما يرى نفسه جاهلاً في نظر والده والمجتمع.

نصائح للآباء والمربِّين

بعدما أنهى الأستاذ علاء حديثه، شكره الأستاذ ياسين ثم طلب من الأستاذ عيسى- رئيس قسم الإدارة الأسرية في مؤسسة الأسرة السعيدة- أن يُقدِّم للآباء والمربين بعض النصائح التي تُعينهم على تربية أولادهم تربية صالحة.

شكر الأستاذ عيسى الأستاذ ياسين والحضور، ثم قال:

- إنه من الصعب أن تُغطِّي ندوة واحدة جوانب التربية الأخلاقية والاجتماعية للطفل، ومن الأصعب أن يُقدِّم مثلي نصائح للآخرين، ففاقد الشيء لا يُعطيه، ولكني سأسرد عليكم

بعضًا منها، وأتمنى من الآبـاء والمربين أن يعيروها اهتمامًا كبيرًا.

١- ظاهرة العناد عند الأطفال ظاهرة صحية وليس فيها ما يمكن أن يُقلِق الوالدين، ولكن عليهما أن يكونا على دراية في كيفية التعامل معها، وخاصة في التحكُّم في أعصابهما، وتحسيس الطفل بوجود اللَّه ورقابته عليه له أثرٌ طيب في تهدئته وإذعانه لطاعة والديه.

٢- تنشيط الرقابة الذاتية في أبنائنا وبناتنا على الدوام؛ وذلك بغرس الخوف من اللَّه في نفوسهم في كل وقت وحين، وأن اللَّه مُطَّلِع على سرائرهم، ثم بزرع الفضيلة والمبادئ السامية في نفوسهم بحيث يفرقون بين الحسن والسيِّء في دروب الحياة، فكما أن على الآباء احترام أبنائهم، وتقدير ذواتهم، والعمل على

معرفة قدراتهم، والتعامل معهم على حسب تلك القدرات، فعلى الأبناء أن يسمعوا كلمة «لا»، وأن يعلموا أنه ليس كل طلب منهم يجب أن يُنفِّذه الآباء، وعليهم أن يشعروا بمراقبة والديهم، وأن ذلك نابع من الحرص عليهم حتى يتعلموا من تجارب الحياة ويستطيعوا مواجهتها.

٣- تعويد الأطفال على المصارحة والوضوح مع الوالدين؛ وذلك من خلال إشباع الجانب العاطفي عندهم من قِبَل الوالدين، وبذلك تتهذَّب عواطفهم المتأججة، فلا يبحثون عن وسائل أخرى لإخراجها وإشباعها، وإنما يكون الوالدان هما مصدر التلقي والإشباع في آنٍ واحدٍ.

٤- تحسيس الأطفال بأنهم كبار، وأنه لا ينبغي لهم الاشتغال بالتوافه، وإنما عليهم

الاشتغال بعظائم الأمور. ومن الوسائل لتحقيق هذا الجانب اصطحابهم إلى مجالس الكبار؛ فهذا يُلقِّح أفكارهم، ويحملهم على محاكاة الكبار، ويُعلِّمهم آداب التعامل معهم من احترام وتوقير، ومن ذلك أيضًا عدم احتقار أفكارهم وتشجيعهم على المشاركة، واستشارتهم وأخذ رأيهم، وتوليتهم بعض المسؤوليات التي تناسب مع سِنِّهم وقدراتهم، واستكتامهم للأسرار، وأن نُكثِر من شكرهم والثناء عليهم، وخاصة عندما يُنجِزون عملاً أو يمارسون خلُقًا حسنًا.

٥- هناك من الأولاد والبنات مَن يلجؤون إلى أفلام الحب والقصص الغرامية والروايات الجنسية لإشباع عواطفهم وميولهم الجنسية، ولذلك علينا أن نشغل أوقاتهم بالمفيد مما يتوافق مع هواياتهم وميولهم، وإن كانت

ميولهم عاطفية فيجب أن نختار لهم ما يعينهم على إشباعها وتهذيبها بما لا يتعارض مع ديننا الحنيف وعاداتنا وتقاليدنا الإسلامية.

٦- تثقيف الأولاد والبنات بالقضايا التي تطرأ على الشباب أو الفتيات عندما يصلون إلى سنِّ البلوغ، ومنها الحيض والاحتلام، وما يتعلق بذلك من أحكام شرعية. كذلك، علينا أن نكون مستعدين للإجابة على تساؤلاتهم المتعلقة بالجنس وعلاقات الحب بأسلوب يتناسب مع أعمارهم وبما لا يجرح الحياء والمروءة، وإذا فرطنا في هذا الجانب فإنهم- بلا شك- سيبحثون عنها من مصدر آخر لا نعلمه، وقد يحصلون عليها محملة بالأخطاء والعادات السيئة والضارة. ويجب التنويه هنا إلى أن هذه القضية يجب أن لا تكون في جلسة واحدة وانتهى الأمر، وإنما يجب أن تكون عملية

متواصلة ومتغيرة في أسلوبها ومضمونها بتقدُّم عمر الشاب أو الفتاة.

بعدما أنهى الأستاذ عيسى حديثه، شكره الأستـاذ ياسين، وشكر بقية المشاركين والحضور، ووعدهم بأن تكون هناك ندوات أخرى لاستكمال قضية التربية الأخلاقية وغيرها من القضايا، سواءٌ المتعلقة بالأطفال أم الشباب أم الكبار.

الحوار الثالث:
التربية العقلية والعلمية للطفل

توجه الأستاذ يوسف، مُعلِّم المهارات، إلى حصته في أحد فصول الصف التاسع، وشاهد الطلاب من بعيد وهم يجلسون بأدب والبِشْر بادٍ عليهم، وما إن دخل الصفَّ حتى قاموا احترامًا له، فبادرهم مبتسمًا:

- ما شاء اللَّه، أرى السعادة بادية اليوم على محياكم!!

فقام أحد الطلاب المتميزين، وقال:

- يا أستاذي: هل نسيتَ بأننا اليوم على موعد لزيارة المكتبة العامة؟

فقال الـمُعلِّم مداعبًا:

- أكُلُّ هذا من أجل المكتبة، أم من أجل النزهة أيضًا؟

قام طالبٌ آخر وقال:

- للاثنين يا أستاذي، فانشراح النفس مهمٌّ لتلقي العلم، والقراءة تبعث في النفس البهجة والسرور.

فقال الـمُعلِّم:

- أحسنتَ يا ولدي، وهيا يا أبنائي فلا نريد تضييع الوقت؛ فوقتُ الإنسان أثمن من أن يُضيَّع فيما لا فائدة فيه.

خرج الطلاب في طابور واحد إلى مواقف الحافلات، ثم صعدوا الحافلة التي ستُقِلُّهم إلى المكتبة العامة.

التربية بالقدوة

عندما تحركت الحافلة، قال الأستاذ:

- مَن منكم يا أبنائي قد زار هذه المكتبة من قبل؟

رفع بعض الطلاب أيديهم، فأشار إلى أحد المتميزين في الصف، وقال له:

- متى زرتَ هذه المكتبة يا أحمد؟

- إني أزورها كل يوم يا أستاذي!!

تعجَّب الأستاذ من ردِّه، فقال:

- لا بُدَّ أنك تسكن قريبًا منها؟

- لا يا أستاذي، ولكن والدي عوَّدني أن يأخذني إلى المكتبة كل يوم بعد صلاة المغرب، وهناك أجلس أكتب واجباتي وأذاكر دروسي.

- ولماذا لا تفعل ذلك في البيت؟

- إن والدي من الناس الشغوفين بالقراءة، ولذلك فعندما أجلس أذاكر دروسي ينشغل هو بقراءة الكتب، وإذا احتجتُ إلى مساعدة يكون بجانبي.

ردَّ الـمُعلِّم متعجِّبًا من صنيع والد أحمد، فقال:

- واضحٌ أن والدك من محبي القراءة، ولكن ماذا عنك أنت؟

- إن مشاهدتي لوالدي وهو منهمكٌ في القراءة أوجد في نفسي الفضول لتصفُّح بعض الكتب الموجودة في المكتبة، ومع الأيام صرتُ أحبُّ المكتبة وأحبُّ ما فيها من كتب، وصرتُ أُضحِّي بنومي بعد رجوعي من المدرسة وأقوم بكتابة واجباتي ومذاكرة دروسي في البيت،

وعندما نصل إلى المكتبة أستمتع بقراءة الكتب التي أحبُّها.

ابتسم الأستاذ، ثم توجه إلى طلابه وقال لهم:

- هكذا تكون التربية بالقدوة يا أبنائي؛ فأخوكم أحمد قد نشأ على حبِّ المكتبة لرؤيته والده مُنكبًّا على الكتب، حتى صار يُضحِّي بأوقات راحته من أجل الجلوس مع الكتاب.
بعد ذلك وجَّه سؤاله إلى الطلاب، فقال:

- وهل هناك أحدٌ غير أحمد زار المكتبة من قبل؟

رفع مصطفى يده فأذن له الأستاذ في الكلام، فقال:

- أنا وإخوتي نزور المكتبة كل شهر يا أستاذي!!

- وكيف ذاك يا مصطفى؟

- إن أبي يقيم لنا في البيت كل شهر برنامجًا ثقافيًّا ليوم كامل، ويبدأ هذا البرنامج بصلاة الفجر وينتهي بصلاة العشاء ويتخلَّله فقرات ثقافية نقوم بها في البيت وأخرى خارج البيت، ومنها زيارة المكتبة.

تعجَّب الأستاذ يوسف من هذه الفكرة، فطلب منه أن يوضح أكثر، فقال:

- قبل أسبوع من هذا اليوم الثقافي يقوم أبي بتوزيع الأدوار على أفراد أسرتنا؛ فأحدنا سيقرأ القرآن، وآخر سيقرأ حديثًا شريفًا، وثالث سيأتي بخاطرة قصيرة. كذلك، هناك مسابقات ثقافية، وهناك فقرة متميزة، وهي أن يعطينا أبي مجموعة من الأسئلة التي علينا البحث عن إجابات لها من المكتبة العامة، ولذلك فهو يأخذنا إليها ثم

يعطينا فترة ساعة كاملة للبحث عن إجابات من هنا وهناك. والحقيقة أننا بهذه الطريقة استفدنا كثيرًا في التعرُّف على المكتبة وأقسامها، وعلى الكثير من الكتب الموجودة فيها.

علَّق الأستاذ يوسف والبِشر بادٍ عليه، فقال:

- ما شاء اللَّه، هذه فكرة جميلة ومحفِّزة للقراءة والبحث.

لا حياة للإنسان إلا بالعلم، ولا علم إلا بكثرة القراءة

وصلت الحافلة إلى المكتبة، ونزل الطلاب منها بهدوء، ثم دخلوا واصطفوا حول أحد موظفيها، واسمه خالد، الذي رحَّب بهم، وبدأ يشرح لهم أقسامها، وطرق تصنيف الكتب فيها، وقوانين الإعارة للكتب والدوريات وغيرها

من المواد، وبعد ذلك أخذهم في جولة في أقسام المكتبة، ثم انتهى بهم المطاف إلى غرفة المخطوطات.

بعد أن تجمَّع الطلاب في غرفة المخطوطات، بدأ الأستاذ خالد حديثه للطلاب بتوجيه السؤال التالي إليهم:

- هل تعرفون ما هذه يا أولادي؟

رفع أحد الطلاب يده فأشار الأستاذ خالد إليه ليتكلم فقال:

- غرفة المخطوطات.

تبسَّم الأستاذ، ثم قال:

- أحسنتَ يا ولدي، وماذا تعرف عن غرفة المخطوطات؟

- تحفظ فيها الكتب القديمة.

- نعم، ولكن الكتب التي ترونها هنا هي بخطِّ اليد وليس بخطِّ المطبعة، ولذلك فهذه الغرفة تعتبر من أهم غرف المكتبة، وتُشكِّل ثروة لا تُقدَّر بثمن؛ فأصحاب هذه المخطوطات قد بذلوا مُهَجَهم من أجل تدوينها.

رفع أحد الطلاب يده فأذن له الأستاذ خالد بالكلام فقال:

- ومن أين نقلوا ما كتبوه فيها؟!!

ابتسم الأستاذ خالد، ثم وجَّه الحديث إلى الطلاب قائلاً:

- هل يعرف أحدكم إجابة لسؤال زميلكم؟

رفع أحمد يده، فأذن له الموظف بالكلام، فقال:

- طبعًا من عقولهم.

هزَّ الأستاذ خالد رأسه موافقًا لإجابة أحمد وقال:

- أحسنتَ يا ولدي، معظم هذه المخطوطات التي ترونها أمامكم قد كتبها أصحابها بأيديهم، ومنها مَن نقلها الكاتبون لها من مخطوطات أخرى ألَّفها غيرهم.

استأذن الأستاذ يوسف في التعليق على ما قاله الموظف، فقال:

- يا أبنائي، إن ما تشاهدونه في هذه الغرفة من مخطوطات قد كلَّف أصحابها جهدًا عظيمًا وأخذ منهم وقتًا طويلًا، ولكن لا مناص من القيام بذلك؛ فأمتنا الإسلامية لا بُدَّ من أن تكون سيدة الأمم وصانعة الحضارات، ولن يتأتَّى لها ذلك إلا بالعلم، والتأليف هو ثمرة هذا العلم.

رفع ناصر يده فأذن له الموظف، فقال:

- وكيف يمكن لشخص أن يؤلف مثل هذه الكتب الكثيرة؟

- أحسنتَ يا ولدي، والإجابة على سؤالك هي في كلمة واحدة: بالقراءة!!

رفع ناصر يده مرة أخرى فأومأ له الموظف ليتكلم فقال:

- هل يعني هذا أني لو واظبتُ على القراءة سأصبح مثل هؤلاء، وسأستطيع تأليف الكتب الكثيرة؟!!

ابتسم الأستاذ خالد وقال:

- سؤال ممتاز يا ولدي، ولا أستطيع الإجابة عليه بـ نعم ولا بـ لا، وإنما أقول: ربما!!

ثم بدأ الأستاذ خالد يشرح للطلاب إجابته فقال:

- إن القراءة تفيد الإنسان في حياته فائدة عظيمة؛ فهي تُوسِّع دائرة خبراته، وتفتح أمامه أبواب الثقافة، وتُحقِّق له التسلية والمتعة، وتُكسِبه حِسًّا لغويًّا أفضل، وتجعله يتحدث ويكتَب بشكل متميِّز، كما أن القراءة تعطيه القدرة على التخيُّل وبُعْد النظر، وتُنَمِّي عنده مَلَكة التفكير السليم، وترفع لديه مستوى الفهم، وتساعده على بناء نفسه، وتعطيه القدرة على حل المشكلات التي تواجهه في حياته.

قاطع سعيد حديث الأستاذ سائلاً بتعجُّب:

- يا اللَّه، أَكُلُّ هذا تفعله القراءة؟!!

ابتسم الأستاذ خالد قائلاً:

- نعم يا أولادي؛ فالقراءة تصنع المعجزات، ولكن لكي يصل الإنسان إلى مرحلة القدرة على الإنتاج والعطاء والتأليف فعليه المثابرة

الجادة في القراءة، وأعني بذلك أن تكون بشكل يومي ومكثف، وبطريقة صحيحة.

قاطع طالبٌ آخر حديث الأستاذ، فقال:

- وهل هناك طرق غير صحيحة للقراءة؟

- نعم يا ولدي، إن الطريقة الصحيحة للقراءة هي أن تتخيَّر المكان الهادئ الذي يعينك على التركيز؛ فالمكان الذي به ضوضاء كصالة البيت أو قريبًا من التلفاز مُشتِّتٌ للذهن. كذلك، عليك أن تُبعِد عنك ما يمكن أن يلهيك ويقطع تركيزك في القراءة مثل الهاتف.

أما ما يقوم به بعض الناس من الإمساك بالكتاب وهو جالسٌ بين أهله أو أصدقائه فهذا لن يستطيع التركيز في قراءته، وكذلك فإن القراءة المتقطِّعة لا تفيد، وإنما يحتاج الإنسان لتخصيص وقتٍ معيَّن لها بحيث يركِّز فيه فقط

على ما يقرؤه. ومن طرق القراءة الصحيحة أيضًا التركيز على كتاب واحد إلى أن ينتهي منه؛ فالتنقل من كتاب لآخر لا يفيد الإنسان كثيرًا.

استأذن عليٌّ للحديث، ثم قال:

- إني أجد صعوبة في قراءة الكتب، وإنما أهوى المجلات التي بها رسوم كرتونية أو مسابقات وألغاز.

- للأسف الشديد، فهذه ظاهرة منتشرة بين كثير من طلاب المدارس، ولعلاج ذلك لا بُدَّ من تعويدهم على القراءة منذ نعومة أظفارهم.

علَّق الأستاذ يوسف على هذا فقال:

- نعم يا أولادي، لا بُدَّ أن يتغذى الطفل بالقراءة منذ ولادتـه مثلما يتغذى بالطعام والشراب، وهناك العديد من الطرق التي تُنمِّي فيه حبَّ القراءة ومنها:

أولاً: أن تكون في البيت مكتبة صغيرة، وأن يكون الأب والأم قدوة لأطفالهما في القراءة المنتظمة؛ فعندما يرى الطفل أَبَوَيْه يرتادان هذه المكتبة بشكلٍ منتظم فإنه يتعوَّد على ذلك، فالطفل يحبُّ تقليد أبويه.

ثانيًا: أن تحتوي المكتبة المنزلية على كتيبات ومجلات متنوعة بحيث تكون ممتعة وتتناسب مع عمر الطفل ومستواه الدراسي، وأيضًا مع رغباته وميوله؛ فالطفل مثلاً يحب قصص الحيوانات وأساطيرها، ثم بعد فترة، يحب قصص الخيال والمغامرات والبطولات، وهكذا تتنوَّع الكتب التي يحبُّ قراءتها بتقدُّم عمره وارتقاء مستواه العقلي.

ثالثًا: أن يُخصِّص الأبوان وقتًا يقرءان فيه للطفل القصص الـمُشوِّقة والجذابة، حتى

ولو كان يعرف القراءة، فإن هذا يُعدُّ من أفضل الأساليب لغرس حب القراءة فـي نفسه، وأحبُّ أن أضيف هنا أمرًا مهمًّا وهو أن يجعلا القراءة حيَّة وممتعة وذلك من خلال نبرات الصوت والحركات التمثيلية، وأيضًا من خلال محاورة الطفل وطرح الأسئلة عليه.

رابعًا: استغلال المناسبات الدينية، مثل الصوم والحج، وعيد الفطر والأضحى، ويوم عرفة وعاشوراء، وغيرها من المناسبات وتقديم القصص والكتيبات الجذابة للطفل حولها، والقراءة له، وحواره بشكل مُبسَّط، والاستماع لأسئلته. كذلك، استغلال الرحلات والنزهات والزيارات، كزيارة حديقة الحيوان، وإعطاء الطفل قصصًا عن الحيوانات، ومحاورته حولها.

وهناك العديد من الطرق الأخرى، ولكن أكتفي بهذه الأمثلة.

التأليف ودوره في إحياء الأمة

شكر الموظف الأستاذَ يوسف على هذه النقاط المهمة، ثم واصل حديثه فقال:

- ومن الطرق الصحيحة للقراءة أن يكون بجانبك دفترٌ تُلخِّص فيه ما تقرأ ليسهُل عليك لاحقًا استرجاع ما قرأته من خلال ذلك الملخَّص، وفي هذا يقول الشاعر:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيدُهُ
قيِّدْ صُيودَكَ بالحِبالِ الواثقةْ
فمنَ الحماقةِ أن تصيدَ غزالةً
وتفُكَّها بينَ الخلائقِ طالقةْ

رفع أحد الطلاب يده، ثم قال للموظف:

- يا أستاذ: لا شكَّ أن هناك علومًا كثيرة، فأيُّ العلوم أنفع لنا ولأمتنا؟

سُرَّ الموظف بهذا السؤال، وبدا ذلك على مُحيَّاه فقال:

- بارك اللَّه فيك وفي أمثالك يا ولدي، واعلموا يا أبنائي أن كل العلوم النافعة للإنسانية فيها الخير بإذن اللَّه، وخاصة إذا أراد الإنسان بها وجه اللَّه- سبحانه وتعالى-، ولكن علينا أن نعلم أن هناك علومًا أولى بالدراسة من غيرها؛ وأنتم تدركون أن علوم القرآن أشرف العلوم، وتليها علوم السنة المطهرة- على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- ثم علوم اللغة العربية، ثم العلوم المعاصرة، وكلما تعمَّق الإنسان في شيء من هذه العلوم كان أقدر على القيام

بالأمانة التي حمَّلها اللَّه إياه، وهي نشر رسالة الإسلام وإعلاء كلمته.

أضاف الأستاذ يوسف قائلًا:

- ولا تنسَوْا يا أبنائي أن العلوم الأساسية التي ذكرها الأستاذ خالد، كعلوم القرآن والسنة واللغة، على كل واحدٍ منا أن يتعلمها ولا يُفرِّط فيها، ثم علينا أن ندرس العلوم الأخرى ونحاول أن نبدع فيها.

رفع راشد يده، ثم قال:

- ولكن كيف لنا أن نبرع في العلوم المعاصرة وقد سبقنا إليها الشرق والغرب؟

استأذن الأستاذ يوسف في الإجابة، فقال:

- هذا السؤال يدور في خَلَد الكثيرين من أبناء الأمة لما يرَوْنَه من غلبة أعدائهم وتشرذم

أبناء هذه الأمة، ولكن عليكم أن تعلموا يا أبنائي أنه لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلُح به أولها، وأنتم تعلمون أن المسلمين كانوا سادة العالم وقادة الأمم، وما ذاك إلا بتمسُّكهم بدينهم وعقيدتهم، وبتفانيهم في نشر دين اللَّه بشتى الوسائل ومنها الجهاد في سبيل اللَّه واكتساب العلم والمعرفة وتعليم الناس. ولذلك، علينا أن لا نخشى من تفوُّق غير المسلمين في العلوم المعاصرة؛ فإنه عندما نتمسَّك بكتاب ربنا وسنة نبينا- عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام- فلا شك بأن اللَّه سيفتح لنا أبواب التفوُّق في العلوم الأخرى، ولكن علينا أن نُخلِص نياتنا له سبحانه، وأن نُجِدَّ ونثابر، كما كان ديدن أسلافنا من قبل.

رفع أحمد يده، ثم قال:

- ولكن تعلمون يا أساتذتي أن هناك الكثير من الكتب التي تخالف عقائدنا ومبادئنا، بل وبعضها تحارب ديننا، فهل يمكن لنا قراءة أيِّ كتاب أم أن علينا الاحتراز من قراءة كتب معينة؟

ردَّ الموظف خالد بقوله:

- هذا سؤال جميلٌ وينمُّ عن إدراك عميق لواقع الثقافة المنتشرة بين أبناء هذه الأمة. أنت محقٌّ يا ولدي أنه لا يمكننا قراءة أيِّ كتاب يقع في أيدينا؛ فإن هناك من الكتب النافعة وهناك من الكتب التي يمكن أن تُدمِّر العقيدة والأخلاق، وهناك من الكتب التي ظاهرها فيه الخير وباطنها فيه السمُّ الزعاف.

استأذن أحمد مرة أخرى، فقال:

- وكيف لنا أن نعرف الكتاب النافع من الضار، ونحن لا نزال لا توجد عندنا الثقافة الكافية للتمييز بين ما هو مفيد وضار؟

- أحسنتَ يا ولدي. صحيح أن هناك من الناس مَن هم ليسوا على علم واسع ودراية عميقة بما تحتويه هذه الكتب، ولذلك عليكم يا أبنائي أن تستشيروا أساتذتكم وأهلَ الصلاح ممن تعرفون فيما ينبغي قراءته من الكتب وما لا ينبغي.

المناهج الدراسية ودورها في تشكيل عقيدة الطفل وفكره

علَّق الأستاذ يوسف بقوله:

- للأسف فإن قضية دسِّ السُّمِّ في الدسم موجودة في كثير من الكتب، وهي موجودة حتى

في مناهجنا التي ندرِّسها لطلابنا، وأذكر هنا حادثة حدثت مع أحد أولادي الذين يدرسون في الصف السابع؛ إذ إنه عاد مرة من المدرسة متغيِّر الوجه، فسألته: ماذا بك يا ولدي؟ إني أراك حائرًا، فبادرني بسؤال أذهلني؛ حيث قال: أصحيحٌ يا أبتي أن أصلنا قرود؟!!

دُهِشتُ من هذا السؤال، فبدأتُ أوضح له بأننا بشر، وأن أصلنا من أبي البشر آدم- عليه السلام-، وذكرتُ له قصة خلق آدم- عليه السلام- في سورة البقرة، ولكنه ردَّ عليَّ بصوتٍ ينِمُّ عن حزنٍ وأسى: لقد شرح لنا اليوم مُعلِّم مادة العلوم درسًا عن تطوُّر الإنسان، وأخبرنا بأن الناس أصلهم قرودٌ ثم تطوَّروا وأصبحوا بشرًا!!

علَّق الأستاذ خالد بقوله:

- نعم، إن هذا الكلام يستحقُّ الدهشة، وما يُدهشني أكثر أنْ يقوله مُعلِّمٌ مسلم لأطفال لا يعون من الأمر شيئًا، وما يُذهلني هو كيف أن مناهجنا- وللأسف الشديد- قد احتوت على سموم تخالف عقيدتنا وتعاليم ديننا الحنيف.

واصل الأستاذ يوسف حديثه، فقال:

- لقد حاولتُ أن أوضح لولدي بأسلوبٍ يفهمه، ولكنه قاطعني وقال: ولكن، إذا كنا نحن المسلمين لا نؤمن بهذا، فلماذا يعلمونها ذلك في المدرسة؟ فقلتُ له: عليك أن تفهم يا ولدي أنه عندما خلق اللَّه- سبحانه وتعالى- آدم- عليه السلام- أمر الملائكة بالسجود له، وأمر إبليس أن يسجد له أيضًا، فسجدت جميع الملائكة، ولكن إبليس لم يسجد، فأصبح من ذلك الوقت عدوًّا لآدم وذرية آدم.

وأخبرته بأن إبليس له جنود وأعوان يحاولون إبعاد الناس عن الإيمان باللَّه- سبحانه وتعالى- فيأتون إليهم، ويُوَسْوِسُون في عقولهم بأمور من مثل هذه التي سمعتَها من مُعلِّم العلوم، وكل مَن يستمع إلى ما يُمليه عليه الشيطان فإنه يعتبر من أعوان الشيطان.

علَّق الأستاذ خالد بقوله:

- أحسنتَ يا أستاذ يوسف على سرد هذه الحادثة التي فيها عبر وعظات مهمة، ومن هنا أؤكد لأبنائي الطلاب بأن عليهم استشارة مَن يثقون به من أهل الصلاح عندما يريدون قراءة كتاب ما، ونحن هنا بدورنا سنقوم بواجبنا في توجيه مَن يسألنا فيما يريد قراءته. كذلك، لو شككتم أثناء قراءتكم لبعض الكتب من وجود عباراتٍ لا تتوافق مع مبادئ ديننا وقِيَمِنا أو لم

تفهموا المغزى منها، فعليكم المبادرة بالسؤال عنها عند مَن تثقون في دينه وأمانته.

قال الأستاذ يوسف:

- أظن أننا أخذنا الكثير من وقتك يا أستاذ، ونشكرك على المعلومات الوافية والإجابات الشافية التي قدمتها للطلاب، وإذا كان لديهم أسئلة أخرى فبمقدورهم أن يسألوك إياها عندما يأتون إلى المكتبة، والآن يا أبنائي قد حان وقت العودة إلى المدرسة.

الحوار الرابع:

بناء الشخصية القيادية لدى الطفل

بعد نجاح الندوة الأولــى التي نظمتها مدرسة الأبرار للتعليم الأساسي حول التربية الأخلاقية والاجتماعية للطفل، نظَّمت ندوة ثانية حول بناء الشخصية القيادية، حضرها حشدٌ كبير من المعلمين ورؤساء النوادي والفرق الشبابية والتطوُّعية، بالإضافة إلى العديد من أولياء الأمور، وقد رعى الندوة سعادة محافظ المنطقة، وفي بدايتها شكر مدير المدرسة راعي الندوة والمشاركين وأولياء الأمور، ثم طلب من

الدكتور مصطفى- رئيس أمناء المجالس الشبابية بالمنطقة- أن يدير الندوة.

مفهوم القيادة والقائد

شكر الدكتور مصطفى مدير المدرسة والحاضرين، ثم قال:

- قبل أن نبدأ في طرح جوانب الموضوع الرئيس لهذه الندوة، سأستهلُّها بتعريف مفهومَيْ القيادة والقائد. القيادة عملية مهمة وضرورية لإنجاز أيِّ عمل من خطواته الأولى في التخطيط ثم التنفيذ والتقويم، وهي مهمة تناط بالقائد الذي يُنظِّم ويدير العمل بناء على أسُسٍ شخصية ومؤسَّسية، وهو أحد أفراد المجتمع، ولكنه بسبب تميُّزه بعدة صفات طيِّبة وحميدة صار بمقدوره أن يكونَ أكثر قُربًا من أفراد

مجموعة معينة، صغيرة كانت أم كبيرة، وصار أكثر معرفة بما يعانون من مشاكل وتحدِّيات، كما أن بمقدوره التأثير فيهم وتوجيههم إلى الوجهة التي يريد.

إن صناعة القائد أمرٌ مهمٌّ جدًّا، ونحتاج إليه في كل الأوقات- وخاصة في ظروفنا الراهنة التي تمرُّ بها أمتنا-، وقد تعارف الناس على أن القائد هو ذلك الشخص الذي يشغل الدرجة أو المنصب الأعلى والأهم، ولكن- في الحقيقة- ليس كل من يمتلك سلطة أو يشغل أعلى المناصب يتمتَّع بشخصية قيادية؛ لأن هذا النوع من الشخصيات لا يرتكز على الموقع أو الرتبة، بل يرتكز على القدرة والفعل والأداء والكفاءة، فالقائد يتميَّز بالحنكة والذكاء والقدرة على

السيطرة على الأمور والمتغيِّرات التي حوله أكثر من الرئيس.

وتُعدُّ الشخصية القيادية من أهم الشخصيات وأعظمها؛ لأن صاحبها يتمتَّع بـمَلَكَة نادرة لا يملكها إلا ما نَدَر من الناس، لدرجة أنه لا يزال يُعتَقَد أن القادة يُولَدون ولا يُصنعون، وذلك لصعوبة اكتساب الصفات القيادية العظيمة التي يتمتَّعون بها.

وقد قسَّم العلماءُ البشرَ إلى ثلاثة أنواع:

• **النوع الأول**: هم قادةٌ بالفطرة، ويُشكِّلون حوالي ١٪ من البشر، وهؤلاء لا يحتاجون إلى تعلُّم فنون القيادة إلا بقدر ضئيلٍ جدًّا، ويمتلكون عفوية في القيادة، وقدرة في التأثير في الغير وإدارة الجماهير.

- **النوع الثاني**: يُشكِّلون حوالي ٩٨٪ من الناس، وهؤلاء لديهم استعداد ليُصبحوا قادة، ويكتسبون القيادة من خلال التدريب المحدَّد والبرامج المعينة التي يخضعون لها، وكذلك النواحي الأخـرى التي تساعد على تنمية شخصيتهم القيادية وصقلها، ومنها: التعليم، والتربية، والمجتمع، والأصدقاء، والمجهود الشخصي، والسفر.

- **النوع الثالث**: وهم يُشكِّلون حوالي ١٪ من الناس، وهؤلاء مهما تم تدريبهم وتعليمهم فلن يكتسبوا مهارة القيادة مطلقًا.

ونستفتح ندوتنا هذه بالحديث عن أماكن صناعة القادة، ويُحدِّثنا حول هذا الموضوع

الأستاذ عبد القادر- رئيس أكاديمية القيادة الدولية-.

أماكن صناعة القادة

شكر الأستاذ عبد القادر الـمُقدِّم والحضور، ثم قال:

لا شك أن القيادية من أهم الخصال التي يرغب الوالدان في غرسها في أطفالهم، سواءٌ أكانوا صبية أم فتيات، وهي- لا ريب- خصلة مهمة جدًّا، وينبغي على والدَيْ الطفل وأهله الاعتناء بها؛ فالعمل على إعـداد جيل من القادة يثق بنفسه، وقادر على تحدِّي العقبات التي تعترض طريق الأمة هدف ضروري في تربية النشء القادم، وزرع تلك الصفة فيهم يُكسِبهم القدرة على الثبات وامتلاك المؤهلات

الضرورية للحفاظ على هوية الأمة ورُقيِّها بعيدًا عن التبعية والذوبان والانهيار.

تُسهِم الأســرة بشكل كبير في صناعة الشخصية القيادية، وقد أشارت الدراسات النفسية إلى أن ٩٠٪ من شخصية الطفل تتشكَّل في السنوات السبع الأولى؛ لأنه في هذه السِّن تكون لديه كل المقومات الضرورية للتغيير مثل حُبِّ الفضول والاكتشاف، والقدرة على الاعتماد على نفسه وتعلُّم أشياء جديدة.

ويمكن معرفة الشخصية القيادية من خلال سرعة البديهة، وحب المبادرة، ومساعدة الآخـريـن، والـقـدرة على اتخاذ القرارات المناسبة في اللحظة المناسبة، وإدارة الضغوط والأزمات، وحسن التصرُّف وحل المشكلات، والقادة هم أشخاص ناضجون، قادرون على

السيطرة على أنفسهم وسلوكهم، ويتحمَّلون مسؤولية أفعالهم، ويتقبَّلون المحاسبة عليها، ولديهم تقديرٌ جيِّد للذات، ويُقيمون علاقات اجتماعية ناجحة.

كل هذه المهارات القيادية تدلُّ على أن الشخص مؤهَّل لكي يُصبح قائدًا، وإذا كان الطفل لا يمتلك أيًّا من هذه المواهب القيادية فيمكننا تنميتها فيه وإكسابه إياها تدريجيًّا؛ ففي السنوات الأولى من عمره ينبغي تعليمه تحمُّل المسؤولية، وتكليفه ببعض المهام المنزلية البسيطة التي تناسب عمره، وليس هناك عمرٌ محدَّد للبدء في تحميله المسؤولية، ولكن متى ما أعطتِ الأم توجيهًا له وفهم ذلك التوجيه، فإن ذلك مؤشِّرٌ على قابليته لتحمُّل المسؤولية.

ثم بعد أن يصل إلى عمر خمس سنوات نقوم بتكليفه بشراء متطلَّبات المنزل البسيطة من المحلات المجاورة أو نُعيِّن له بعض مهام التنظيف في المنزل، ويكون تحت مراقبة الأبوين، وبمثل هذا ينشأ ولديه حُبُّ مساعدة الآخرين وتحمُّل المسؤوليات، وحينئذٍ يمكن إخضاعه لبرامج معينة من شأنها أن تُسهِم في تطوير أدائه الذهني والعقلي، بالإضافة إلى البرامج التي تُطوِّر بناءه الجسمي وأداءه الرياضي، وبرامج أخرى تساهم في تطور أدائه الاجتماعي وتواصله مع الآخرين، وتُنمِّي لديه الروح القيادية من خلال الإيحاء إليه بتعظيم الشخصيات القيادية وإكبارها، وبيان سِرِّ العظمة ومواطن القوة القيادية لدى هذه الشخصيات.

وفي المرحلة العُمْرية من ٧ إلى ١٨ سنة تتشكَّل ١٠٪ من شخصية الإنسان، وهي ليست قليلة، ففيها يمكن إعادة تشكيل شخصية الطفل عن طريق الإقناع واللين والتفاهم، ويمكن فيها كذلك تقويم شخصيته بتعديل بعض الخصائص القابلة للتعديل، ويمكن أن تُسهِم المدرسة إسهامًا فعَّالًا في بناء شخصية الطفَل في هذه السِّن بما تُهيئه له من مناخ صحي يساعده على النمو المعرفي والانفعالي والجمالي والاجتماعي والعقدي، لا بما تُقدِّمه من معلومات نظرية فقط، بل بالممارسة العملية، وما يعنيه هذا من تكامل بين المعرفة والممارسة.

وكما تُسهِم الأسرة في تكوين الشخصية القيادية ببذورها الأولى، فإن المدرسة هي

المزرعة التي تنمو وتزدهر فيها، والمعلم هو الخبير المسؤول عن كشفها وتنميتها، وللتربية أساليبها ووسائلها الفنية والعلمية الكثيرة في كشف الخصال القيادية لدى الأطفال، وتمرينهم على قيادة الجماعة وتوجيهها، كتعويدهم القيام ببعض المشاريع والأعمال الطلابية، أو تكليفهم ببعض المسؤوليات التي هي في حدود قدرتهم، كقيادة اللجان والمشاريع المدرسية، أو عرض بعض القضايا ومناقشتها، أو إدارة بعض الأعمال الجماعية كتنظيم الصف والفريق الرياضي، أو مراقبة المدرسة من ناحية النظافة والنظام، أو الإشراف على الرحلات الطلابية والإعداد لها وتنظيمها.

ومن المهم مراقبة الطفل والحذر من وقوعه في الغرور والتعالي نتيجة نجاحه، أو شعوره

بتفوُّقه، بسبب ما يقوم به من أعمال، وأن لا يتَّخِذ العنف وإيذاء الآخرين، سواءٌ من إخوته أو زملائه في المدرسة، وسيلة للتعبير عن قيادته وقوته، وعلى الأسرة والمدرسة اتِّباع أسلوب الحزم معه إنْ رأتْ أَمَاراتِ ذلك.

الاستقلالية والثقة بالنفس وتقدير الذات

بعدما أنهى الأستاذ عبد القادر حديثه، شكره الدكتور مصطفى، ثم أحال الميكروفون إلى الدكتور غالب- عميد معهد السلوك التربوي- ليتحدَّث عن قضية الاستقلالية والثقة بالنفس وتقدير الذات. شكر الدكتور غالب الجميع، ثم قال:

تربية الأطفال على الاستقلال والثقة بالنفس أحد أهم واجبات الآباء تجاه أطفالهم لأنها

سوف تساعدهم في تنشئة جيل قادر على تحمُّل المسؤولية وتخطِّي الصعاب بنفسه، وهذه الصفات تُكتسب عن طريق التدريب والممارسة والقدوة الحسنة، وتبدأ في السنتين الأولَيَيْن من عمر الطفل؛ فهو يريد أن يأكل بمفرده، ويلبس ملابسه دون مساعدة، ويريد حلَّ مشاكله التي تواجهه بنفسه، ودون الحاجة للاعتماد على الآخرين، وهذه بدايات تشكيل هذه المهارات، ولكن للأسف فإن بعض الآباء يقمعونها وبحُسن نية؛ فالأم تمنع طفلها الصغير أن يأكل بمفرده خوفًا على ثيابه من الاتِّساخ، وتُلبسه ملابسه بنفسها حتى لا يلبسها بصورة خاطِئة، ويختار له الأبوان الألعاب والكتب التي تعجبهما من غير أن يسألاه عن رأيه فيها، وعندما يعاني من مشكلة معينة فإنهما يتَّبعان معه أسلوب الوعظ والإرشاد أو التأنيب واللوم،

أو يلجآن إلى حلِّ مشكلاته بأنفسهم. كل هذه الأساليب تُشعِر الطفل بالعجز والاتكالية وعدم الثقة بقدراته الذاتية.

لذا، فمن الضروري أن يُشجِّع الآباء والمعلمون الأطفال على الاستقلالية منذ الصغر، وأن يمنحوهم المزيد من الاستقلالية كلما كبروا، فهذا سوف يساعدهم على النضوج سريعًا، وعلى مواجهة الحياة بمفردهم دون مساعدة من أحد.

وأما الثقة بالنفس فهي خصلة مهمة للقادة؛ فلا توجد شخصية قيادية لا تثق في قدراتها ومهاراتها، وتعرف نقاط القوة عندها، وتحاول التخلُّص من نقاط الضعف، ويرى علماء النفس والتربية أنها مفتاح الشخصية السوية والطريق الأكيد نحو النجاح في الحياة الخاصة والعملية،

ولذلك فمن المهم أن يثق الطفل بما يملكه من قدرات حتى يحاول تطوير نفسه بشكل دائم؛ وتربي عنده حُبَّ الإنجاز، وخاصة عندما يُعطى تعبيرات إيجابية أو تحفيزية كلما أنجز مهمة ما، فذلك يُولِّد لديه ثقة بالنفس.

إن زرع الثقة في نفس الطفل ومكافأته عندما يُتقِن عملاً أو يتفوَّق في أمر، وعدم توجيه الإهانات إليه عند الفشل أو إشعاره بالقصور والعجز، كل ذلك مما يُشعره بأهميته، ويعينه على الصبر والمثابرة، ولذا يجب عدم تكليفه الأعمال التي تفوق قدراته لئلا يواجه الفشل المتكرر ويفقد الثقة بنفسه.

أيضًا ينبغي على الأهل أن يُشعروه بأهميته في الأسرة والمجتمع، ويُؤكِّدوا على مكانته بينهم، وأن يقوموا بتوجيهه لممارسة هوايات معينة

وأنشطة مختلفة، بحيث يبرع فيها ويُريها لأهله ويرى مدى انبهارهم بنجاحاته، وتشجيعهم له، سواءٌ أخسر أم ربح، فذلك مما يُعزِّز ثقته بنفسه، وقد وجد العلماء أن الأطفال الذين يتربَّوْن في هذه البيئات يتميَّزون بالسعادة والثقة بالنفس والاستقلالية واحترام الآخرين، وغالبًا ما يكونون محبوبين وناجحين في دراستهم.

وأما تقدير الذات فيعني أن تكون الصورة المنطبعة بداخلنا عن أنفسنا إيجابية، بحيث نشعر بالاعتزاز والرضا عن هذه الذات، وإذا كانت صورتنا عن ذاتنا سلبية فسوف نكره أنفسنا ونذمها ونحتقرها، وليس هناك أخطر من أن يكره الطفل نفسه لأن ذلك سوف يُعرِّضه إلى العديد من المشكلات السلوكية والنفسية في محاولة

يائسة لإثبات ذاته بطرق سلبية بعد أن فشل في إثباتها بطرق إيجابية.

يبدأ الطفل الرضيع بتكوين صورة مستقلة عن ذاته من الشهر التاسع، ثم تدريجيًّا تتبلور صورته عن ذاته وإحساسه بالرضا أو عدم الرضا عنها من خلال تفاعل الأسرة معه وأساليب معاملتها له، فإذا عُومِل معاملة أساسها المحبة والقبول والتقدير فانه سوف يحب نفسه ويثق بها، وعلى العكس من ذلك فإذا عُومِل معاملة قاسية، وكلما أخطأ أو فشل قُوبِل بالرفض والضرب تعلَّم أن يكره نفسه ويفقد الثقة بها ويشعر بالإثم والذنب تجاهها.

وعندما يكبر ويدخل المدرسة يأتي دور المدرسة ليُكرِّس الصورة التي كوَّنها عن نفسه أو ربما لتصحيحها في بعض الأحيان عن

طريق الأساليب التربوية التي يتبعها المعلم في الصف، ويكون مفهومه لذاته مرنًا وهو صغير، وكلما كبر اتجه نحو الثبات والرسوخ، ولذلك فمن المهم جدًّا الشروع في تطبيق برامج تنمية الثقة بالنفس وتقدير الذات مع الأطفال منذ الصغر.

وتتميز شخصية الطفل الذي يتمتع بتقدير إيجابي لذاته بالعديد من الخصائص، ومنها أنه يفخر بإنجازاته، ويتمتع بالاستقلالية، ويتحمَّل المسؤولية، ويمتلك القدرة على التأثير في الآخرين. وأما الطفل الذي يمتلك تقديرًا سلبيًّا لذاته فتجده يتجنَّب المواقف التي تُسبِّب له القلق، ويحطُّ من قيمته وإمكانياته، ويشعر بأن الآخرين لا يُقدِّرونه، ويلوم الآخرين على فشله، ويتأثَّر بالآخرين وينساق وراء سلوكهم السلبي

بسهولة، ويشعر بالعجز في إنجاز التكاليف والأعمال.

الطموح وعُلُوُّ الهمة

شكر الدكتور مصطفى الدكتورَ غالب على مشاركته القيِّمة، ثم طلب من الأستاذ نور الدين- مدير مشروع «إلى الأمام دومًا»- أن يتحدث عن قضية الطموح والهمة العالية، ووسائل زرعها في الأطفال. شكر الأستاذ نور الدين الحاضرين، ثم قال:

لقد أراد الإسلام للمسلم أن يقوم بدور طليعي في قيادة البشرية والسير بها في طريق الخير والمحبة والسلام، والوصول إلى مرضاة اللَّه سبحانه، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

والأمم تحتاج دومًا إلى أصحاب الهمم والطموح، فهم صُنَّاع الحياة وقيادات المستقبل في أيِّ أمة من الأمم في القديم والحديث، ولقد فضَّل اللَّه أصحاب الهمم العالية والطموح والمثابرة على غيرهم، فقال سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ

اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٥)، وجاء في الحديث عن أبي فراس رَبيعةَ بْن كَعْب الأَسْلَميِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ آتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بوَضُوئه وَبحَاجَته فقَالَ: «سَلْني»، فقُلْتُ: مُرَافَقَتُكَ في الْجَنَّة فَقَالَ: «أَوَ غيْرَ ذَلكَ؟» فقُلْتُ: هُوَ ذَاكَ فَقَالَ: «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[1].

وقد قال المتنبي:

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ
فلا تَقْنَعْ بما دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الموْتِ في أمْرٍ حَقِيرٍ
كَطَعْمِ الموْتِ في أَمْرٍ عَظِيمِ
يَرى الْجبَنَاءُ أَنَّ العَجْزَ أَمْنٌ
وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ

(١) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (حديث رقم: ٢٣٨٧).

فمن هذه المفاهيم وغيرها نجد أن الإسلام يريد إعداد أمة قائدة رائدة في طريق الخير والحضارة المدنية بما لديها من رسالة إنسانية ومفاهيم خيِّرة ومنهج حياتي، ولذلك كان من واجب الآباء والمعلمين والمربين إعداد الأجيال القادمة وتربية أبناء الأمة على هذا الأساس. كذلك، من المهم إيضاح التحدِّيات التي تواجهها الأمة الإسلامية، وتنمية روح المواجهة بالاعتماد على النفس في دخول ميدان الحضارة كأمة قائدة مؤهلة للعطاء والمشاركة، وبيان الأسباب الحقيقية لتخلُّف الأمة الإسلامية وكبوتها، وأنها قادرة على تجاوز عقبات السقوط.

وتبدأ مسيرة بناء شخصية الطفل منذ نعومة أظفاره؛ وذلك بالإصغاء إليه، وتشجيعه على

التعبير عما يشعر به ويفكر فيه؛ فلديه أحاسيس وأفكار واهتمامات خاصة، وإن أبدى رغبةً في القيام بأمرٍ مميَّز، فعليهما تشجيعه عليه، ودلالته على الطريق الصحيح لتحقيقه، وعليهما تحفيزه ليبذل جهدًا أكبر، وهذا ما سيساعده على الـمُضيِّ قُدُمًا في الحياة، ويُذلِّل له العقبات التي قد تواجهه، وعليهما أن يفتحا المجال أمامه ليرى العالم، من خلال تعريضه للفرص الكثيرة التي من خلالها يرى أشياء جديدة، ويسوح إلى أماكن جديدة، ويلتقي بأناسٍ جُدُد، فما من أحدٍ غيَّر العالم بمجرد بقائه في المنزل.

ومن الأمور الأخرى التي تبني عنده الطموح والهمة كثرة قراءة الروايات والقصص والأساطير، فعلى الوالدين شراء مثل هذه الكتب له، وكذلك تعريفه بنماذج مشرِّفة من

الأنبياء والصحابة والسلف الصالح ممَّن قادوا مجتمعاتهم وتميَّزوا وأفادوا وبرزوا، فهم خير أسوة وقدوة ومَثَل، ولا ننسى نماذج الصحابة صغار السِّن الذين كانت لهم أدوار قيادية في الدعوة للإسلام وخدمته وحتى في قيادة الجيوش، مثل علي بن أبي طالب ومصعب بن عمير وأسامة بن زيد، وغيرهم كثير رضي اللَّه عنهم جميعًا.

ومما يُذكر في هذا أنه كان لكافور الإخشيدي صاحبٌ، وكانا كلاهما عبْدَيْن أسَوَدَيْن، فجيء بهما إلى قطائع بن طولون أمير الديار المصرية وقتها ليباعا في أسواق العبيد، وجلس كافور وصاحبه يتحدثان، وبدأ كلٌّ منهما يسأل الآخر عن أمنيته وطموحه، فقال صاحبه: أتمنى أن أباع لطباخ لآكل ما أشاء وأشبع بعد جوع،

وأما كافور فقال: وأما أنا فأتمنى أن أملك مصر كلها، لأحكم وأنهى، وآمر فأطاع، وبعد أيام بيع صاحبه لطباخ، وبيع هو لأحد قادة مصر، وما هي إلا أشهر حتى رأى القائد المصري منه كفاءة وقوة، فقربه منه، ولما مات مولاه قام كافور مقامه، واشتهر بذكائه وكمال فطنته حتى صار رأس القواد، وما زال يجد ويجتهد حتى ملك مصر والشام والحرمين. وبعد فترة مرَّ كافور يومًا بصاحبه فرآه عند الطباخ يعمل في جِدٍّ، وقد بدا بحالة سيئة، فالتفت كافور إلى أتباعه وقال: «**لقد قعدتْ بهذا همته فكان ما ترون، وطارت بي همتي فصرتُ كما ترون، ولو جمعتني وإياه همة واحدة لجمعنا مصير واحد**».

من أجل هذا كله لا بُدَّ أن نبحث في أبنائنا والشباب من حولنا عن أصحاب الطموح

الكبير، والهمم العالية، ونعتني بهم أيما عناية، ففي مثل هؤلاء يكمن الأمل في مستقبل الأمة، ويسطُع اليقين في عزتها وكرامتها، وبغيرهم لا أمل ولا عزة ولا كرامة. كما ينبغي زرع الثقة فيمن افتقدها بتأثير التربية الخاطئة، وتأثير وسائل الإعلام، وذلك أمرٌ صعبٌ ولكنه ليس مستحيلاً؛ فكم من شخصٍ أدرك طاقاته بعدما مضى من عمره الكثير، فلم يمنعه ذلك من الإبداع وإفادة الأمة بالكثير، ومن أمثلة ذلك أبو ذر أبان بن وسيم وضياء الدين عبد العزيز الثميني- صاحب كتاب النيل وشفاء العليل- وغيرهم، عليهم جميعًا رحمة اللَّه.

ويمكننا التعرُّف في أبنائنا ومَن حولنا من الشباب على أصناف ثلاثة من حيث الطموح والأهداف والهمة للعمل:

١. **شباب بائس يائس**: طموحه متواضع، وأهدافه هابطة، سواءٌ أكانت له همة تحمله لتحقيق أهدافه الدنيئة التي هي صوت شهواته أم لم تكن له همة.

٢. **شباب حالم**: يحلم بأهداف كبيرة وطموحات عظيمة، ولكنه لا يعمل لأحلامه، فلا همة له تحمله على العمل، بل يكتفي بالأحلام ويعيش فيها.

٣. **شباب طموح**: يحلم بأهداف كبيرة، ويُخطط لأحلامه وأهدافه، ويُنفِّذ وينتج، ويعمل بِجدٍّ ومثابرة، وهذا الذي يتمتَّع بهمة عالية تحمله إلى المعالي.

وأسرد لكم هنا بعض الخطوات التي يمكن أن ترتقي بهمة أطفالنا وشبابنا، وتُنمِّي طموحهم:

١) الاستعانة باللَّه، ودوام الدعاء، فعلى الرغم من أهمية الوسائل التربوية وفاعليتها، إلا أن الأمر كله موكول للَّه تعالى، بيده القلوب يُقلِّبها كيف شاء، فلا تنس في زحمة اتخاذ الأسباب الاستعانَةَ به سبحانه دائمًا، والتوجُّه إليه بالدعاء ليعينك ويسددك.

٢) الصحبة الصالحة: فلا يمكن تنمية أيٍّ من الجوانب الإيجابية في الطفل دون أن تُهيِّئ له صحبة صالحة، تُذكِّره إذا نسي، وتُشجِّعه إذا أقدم، وتُعينه إذا همَّ. والصحبة ليست ضربًا من ضروب الحظ، تأتي كيفما اتفق، بل لا بُدَّ للمربي أن يعمل على ذلك من خلال غرس الطفل منذ الصغر في مجتمع نافع صالح، كشباب المسجد من ذوي الصلاح والاستقامة، وأيضًا بتشجيعه على مصادقة الصالحين منذ

نعومة أظفاره، وتعليمه فنَّ اختيار الأصدقاء، والتعرُّف على أصحابه عن قرب، حتى وإن استدعى الأمر مشاركتهم بعض أنشطتهم، دون إحراجهم أو الإثقال عليهم.

٣) تعليمُه مجاهدة النفس ومحاسبتها، بإيجابية تدفعه لتطويرها، ومحادثتها دائمًا بأهمية الطموح وعُلُوِّ الهمة، وتدريبُه على مراجعة برامجه اليومية ومحاسبة نفسه عليها، وبثُّ روح الطموح وتحدِّي المهام الصعبة وإنجازها في نفسه.

٤) تعويده الابتعاد عن سفاسف الأمور؛ فأصحاب الطموحات الراقية والهمم العالية لا ينغمسون في الأمور التافهة فتشغلهم عن معاليها، كما ورد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا

»[1]، ويجب كذلك تدريبه على الاستغناء عن الكماليات في حياته.

٥) تدريبه على التخطيط الجيِّد الذي يدفع إلى التنفيذ الدقيق، وذلك من خلال سؤاله عن خططه المستقبلية، وحثِّه على وضع خطط لكل مرحلة من حياته، وتعويده أن لا يترك الإجازات الطويلة تمر دون أن يكون لديه خطة لها، ويمكن أن تشاركه في وضع خططه، وتصنع معه أهدافًا مشتركة تنفذونها سويًّا. كذلك، ينبغي تعليمه فنون التخطيط ورسم الأهداف في ضوء الإمكانيات والقدرات، فذلك يساعده على تنظيم وهندسة عقله بفاعلية، وتعليمه أيضًا ترتيب الأولويات، وتوجيهه إلى قراءة الكتب المتميِّزة في هذا الجانب.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (حديث رقم: ٢٩٤٠).

٦) مشاركته في طرح المشكلات التي تعترض الأسرة، وتدارس الحلول الممكنة معه، وإشراكه في وضع خُطَط الأسرة المستقبلية.

٧) تشجيعه على القراءة في كتب العظماء والقادة والناجحين وأصحاب الهمم العالية، وتدارسها معه، وتشجيعه على اختيار واحد من أولئك العظماء ليتقمَّص شخصيته.

٨) تعزيز روح المنافسة لديه، وذلك من خلال إشراكه في المسابقات الصغرى ثم الكبرى، وحثِّه على قبول التحدِّيات، مهما بدَتْ صعبة، وتقديم المحفِّزات له عند المنافسة والجوائز بعدها، وتعويده على تحدِّي ومنافسة ذاته لغرض تطويرها، وذلك بوضع أهداف طموحة، والسعي الجاد لتحقيقها.

٩) مساعدته على التغلُّب على التسويف والتأجيل؛ فالتسويف هو العدو الأول للطموح، والقاتل الكبير للّهمم العالية، ويمكن ذلك من خلال تعليمه أن يضع وقتًا للانتهاء من كل مهمة، وتعليمه كيف يُشجِّع نفسه ويجعل لها حافزًا، وتدريبه أن لا ينتظر الإيحاء أو المزاج المتلائم، فهو لا يأتي إلا بالعمل، وتعليمه عدم التردُّد، فيتعرف على وقت اتخاذ القرار ولا ينتظر نتائج مثالية.

قوة الشخصية وقيادة الآخرين

بعدما أنهى الأستاذ نور الدين حديثه، شكره الدكتور مصطفى، ثم طلب من الأستاذ زين العابدين- عميد كلية القيادة الدولية بجامعة الرحمانية- أن يتحدَّث في موضوع قوة

الشخصية وقيادة الآخرين. استهلَّ الدكتور زين العابدين حديثه بشكر الـمُقدِّم والحضور، ثم قال:

إن أحد أهم الجوانب التي يرغب الوالدان في زرعها في أطفالهم، سواءٌ أكانوا صبية أم فتيات، تربيتهم ليُصبحوا ذوي شخصية قيادية في مجتمعاتهم، وربما تكون هذه ميزة كبيرة ولكنها ليست شيئًا أساسيًّا لنجاح الإنسان أو بروزه في الحياة؛ فهناك كثير من القادة الذين لم يضيفوا الكثير لأنفسهم ولا لمجتمعاتهم، وإنما القائد الناجح هو الذي يقوم باستخدام نفوذه وقوته وصلاحياته التي أوكِلَتْ إليه في العمل للتأثير على تصرفات الأشخاص الذين يقودهم وسلوكهم، والعمل على تحقيق ما فيه منفعة لهم وللأمة جمعاء.

إن قوة الشخصية مهمة للغاية؛ فأصحاب الشخصيات الضعيفة ليست لديهم القدرة على التعبير عما في أنفسهم بسهولة، بل ويعجزون عن إبـراز مواهبهم كاملة أو إثبات ذواتهم للآخرين، كما أنهم لا يمتلكون القدرة على رفض السلوك السلبي حتى وإن كان على عكس ما نشؤوا عليه من عقيدة أو مبادئ أو أخلاق، وكثيرًا ما يتأثرون بمن حولهم، ويفعلون ما يُملونه عليهم مما يجعلهم تابعين لهم في كل شيء، وقد يتعلَّمون منهم التدخين وتعاطي المخدرات وغيرها من الآفات.

لكن علينا أن نعلم أن القيادة ليست بالتحكُّم في الآخرين والتعالي عليهم والأنانية في إبراز الذات وفرض الرأي والفكر على الآخرين، ولكنها قبل كل شيء احترامٌ للذات وللآخرين

وثقة بالنفس وتحمُّل للمسؤولية، والقدرة على إدارة الأمور والنجاح في الحياة والتأثير الإيجابي في الآخرين، والقائد الناجح هو الذي تكون لديه القدرة على التشجيع وبثِّ روح الأمل لدى أفراد مجموعته، وخاصة عندما يصل أحدهم إلى حدِّ اليأس واللامبالاة، فهنا يأتي دور القائد في دفعه للأمام وتغيير الأفكار السلبية التي تدور في ذهنه.

ومن صفات القائد الناجح أيضًا الاستماع وأخذ رأي الآخرين؛ فالإنسان غير معصوم من اتِّخاذ القرارات الخاطئة التي قد تؤدِّي إلى كوارث، لذلك يجب تعويد الطفل على الإفصاح عمَّا في نفسه لأبويه من دون خوفٍ أو تردُّد، واستشارتهما فيما يتعرَّض له من مواقف، أو ما يجول بخاطره من أفكار.

ومن المهم أيضًا تعويده على الاندماج في المجتمع والانخراط مع الآخرين، مما يُعزِّز لديه معرفة الآخرين وكيفية التعامل معهم، ويمكن الاستعانة لذلك بكتب ومؤلفات تعالج مثل هذه القضايا. كذلك، فمساعدته على تحسين مهاراته في التواصل، وتعزيز قدراته على القراءة والكتابة، وتعويده على التفكير فيما يواجهه من مواقف، والبحث عن حلول إيجابية لها، وأيضًا تشجيعه على التعبير عن مشاعره وأفكاره، مما يُربي فيه الجرأة على قيادة الآخرين، واتخاذ القرارات الحكيمة، ويمنحه الثقة بنفسه، والجرأة على التحدُّث في العلن وأمام جمهور كبير.

وأكثر الناس - للأسف - ينظرون إلى الشخص القيادي أنه مسؤول عن كلِّ شيء، وأن له مطلقَ الحرية في اتخاذِ كل القرارات وفعل ما

يريد، ويغيب عنهم أنه من المفترض أن يُتقِن شيئًا اسمه فن التفويض؛ فإذا نظرنا إلى العالم الأوروبي اليوم لرأينا أن فكرة القيادة تقوم على مبدأ التفويض، أي إن معظم رؤساء الدول اليوم لا يتخذون القرارات إلا بعد الرجوع إلى مجالس الشيوخ والوزراء والشورى.

ولا بُدَّ للشخصية القيادية أن تعرف كيف تفصل وتـوازن بين الحزم والغلظة، وبين الغرور والثقة بالنفس، وبين المغامرة والتهوُّر، وهذا ما يمنح القائد الحكمة وحُسْن التصرُّف في المواقف المختلفة، وحُسْن اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، والقدرة على الإبداع والابتكار؛ فهو مُطالَبٌ بتقديم حلولٍ مختلفة وخلاَّقة ومبتكرة للمشكلات، وأن يصل إلى أهدافه بطرق غير تقليدية، وأن يعرف جيِّدًا

كيف يُبدِع ويُحوِّل أبسط الأشياء إلى نجاحات وإنجازات عظيمة.

أهم سمات الشخصية القيادية

في ختام الندوة طلب الدكتور مصطفى من الأستاذ عرفان- مدير مدرسة النجباء- أن يقوم بتلخيص أهم سمات الشخصية القيادية، فشكره الأستاذ عرفان، وشكر الحضور، ثم قال:

لقد أتحفنا السادة المشاركون في هذه الندوة بالكثير من الخصال التي تُميِّز الشخصية القيادية، وسأُلخِّص هنا بعض ما قالوه، بالإضافة إلى بعض السِّمات الأخرى التي لم يتطرَّقوا إليها:

- أن يكون القائد مثقَّفًا وواسع الاطلاع والمعرفة.

- أن تكون لديه رؤية واضحة بالأهداف التي يطمح للوصول إليها، وبالتالي يكون خلاَّقًا وصاحب طموح، ولديه القدرة على الإبداع والابتكار بشكل مستمر، والقيام بإدخال كل ما هو جديد على العمل الذي يقوم به، ليستطيع الوصول إلى تلك الأهداف.
- أن يلتزم بالقيَم الاجتماعية والعادات والتقاليد، ويتحلَّى بالمرح والدُّعابة بشكل منطقي ومعقول يجعله محبوبًا بين الآخرين، وأن يتميز بذكاءٍ اجتماعيٍّ عالٍ يُمكِّنه من معرفة نفسه ونفسيات الآخرين، وأن يكون قادرًا على فهم البيئة المحيطة به من أجل اتِّباع طرق صحيحة في التعامل معها.
- أن تكون لديه القدرة على ضبط نفسه والتحكُّم في انفعالاته، فلا تهمُّه الأقوال

والإشاعات التي لا أساس لها من الصحة.

- أن تكون لديه القدرة على اكتساب المؤهلات التي تساعده على النجاح في إدارة مؤسسته، ومنها الانتظام في العمل، وفنُّ اختيار الشخص المناسب للمكان المناسب، من خلال معرفته الجيدة بطبيعة الأشخاص الذين يتعامل معهم، والقدرة على توزيع المهام والأعمال على مَن حوله بحكمة بالغة، حتى يستطيع استيعابهم والتعامل مع كل شخصٍ بحسب طبيعته، ويتجنَّب الوقوع في المشاكل معهم.
- أن يكون ذا شخصيَّة حازمة وقوية، ولديه الجرأة والإقدام لاتخاذ قراراته، وأن يكون قادرًا على اتخاذ القرارات الصائبة بحكمة وتعقُّل، وقراراته صارمة، ولا يتراجع عند

اتِّخاذ أيِّ قرار يكون فيه مصلحة للجميع، وأن يتحمَّل تبعات قـراراتـه؛ فصاحب الشخصية القيادية يعترف بأخطائه، ويحاول تصويبها وتصحيحها.

- أن تكون لديه القدرة على إقناع الآخرين بأفكاره، والعمل على تسهيل الأمـور وتبسيطها ليتسنَّى للجميع استيعابها والعمل بها وتنفيذها بطريقة دقيقة وبدون أخطاء، وأن يتعامل مع المشاكل بذكاء وحكمة من أجل الوصول إلى الحلول المناسبة والجذرية لأية عقبات أو صعوبات تواجهه، بأقصر الطرق وأقل التكاليف.